أصالة فلسفة نيتشه

آية مصطفى محمد غريب

مدرس مساعد بقسم الفلسفة و الإجتماع – كلية التربية جامعة عين شمس

ملخص

مقدمة :

يحمل هذا البحث عنواناً ذا دلالة بالغة ليس فقط بالنسبة إلى تخصص (الفلسفة الحديثة) بل بالنسبة أيضا إلى بعض التخصصات الدقيقة فى الفلسفة : فلسفات الإنسان ، الأخلاق، القيم ، الدين، التاريخ، السياسة ، الفن و التربية ... ألخ . لقد تعرضت فلسفة نيتشه للإنتقادات و الإتهامات منهجاً و مضموناً، بل و أيضا أسلوب الكتابة لديه. و من ثم فإن البحث فى تقييم أصالة فلسفته صار مطلباً علمياً مُلِحاً.

يتضمن البحث تأويلاً تحليلياً، نقدياً و تقييمياً لثلاث قضايا رئيسية هى : تفنيد الإنتقادات و الإتهامات و كفاءة المنهجية و أصالة المضمون الفلسفى ممثلة فى طرح فلسفة التاريخ و فلسفة تقييم قيمة جميع القيم. و قد **أستخدم فى فحصها مناهج البحث التالية** : منهج التحليل النقدى ، المنهج التاريخى المقارن و منهج التأويل. أظهر فحص الإنتقادات الموجهة إلى أسلوب الكتابة سوء فهم فلسفة نيتشه فى تنوع أساليب الكتابة الفلسفية و كشفت الدراسة بطلان إتهام نيتشه بالنازية و العنصرية. حيث يقوم على سوء القصد و النقد المغرض، غير الموضوعى.

تبدت كفاءة المنهجية ممثلة فى ضرورة الاستقلال فى التفكير و فلسفة وضع السؤال و تفكيكه و التأويل و التجريب الفكرى المعاش. و جاءت أصالة المضمون الفلسفى ممثلة فى دراسة فلسفة التاريخ و فلسفة تقييم قيمة جميع القيم لديه.

أهم نتائج البحث:

رفض تشييد الأنساق الفلسفية: ميتافيزيقية، لاهوتية، أخلاقية ، سياسية ... ألخ. رفض الإنتقادات و الإتهامات الموجهة إلى فلسفة نيتشه حيث تمثل نقداً غير موضوعى. هناك كفاءة منهجية بدرجة عالية تؤكد أصالة منهج نيتشه فى التفلسف. علو أصالة مضمون فلسفته بفضل رؤيته الصواب لنفع و ضرر التاريخ للحياة. و تتعاظم هذه الأصالة بتأثير قيمة مشروعه فى تأسيس فلسفة المستقبل، فلسفة (إرادة القوة).

المناقشة :

تم إستخدام أسلوب قياس درجة الترابط المنطقى و الاتساق و التكامل بين الأفكار و كذلك أسلوب قابلية نتائج البحث للتطبيق فى الواقع المعاش ، و ذلك فى مناقشة النتائج.

الخلاصة:

ثمة قيمة فكرية و إنسانية و حياتية لفلسفة نيتشه : منهجاً و مضموناً. و بالتالى يمكن إيجاد حضارة إنسانية تقوم على فلسفة إنسانية خالصة تسعى إلى بناء الإنسان الأعظم علواً.

Summary

An introduction: The research- subject has higher significance, not only, to Modern philosophy, but also, to some specific specialization in philosophy such as: Man, Morals, Values, Religion, History, Politics, Art, Civilization and Education-philosophies.

Nietzsche's philosophy has been exposed to some criticism and accusations, not only, his method of philosophizing and the content of his philosophy, but also, his style of writing philosophy. Thus, researching the valuation of his philosophy –originality become a necessary scientific-demand.

The research contains an analytical, critical and valuative interpretation of three issues: Refuting criticism and accusations, Methodology – Adequacy and the originality of the philosophy of History and valuating the value of all values.

The analytical, critical method, Historical and comparative method and the method of interprevion are used in studying the research-subject. There is misunderstanding in relation to Nietzsche's Approach of writing philosophy. Also, the falsification of Accusing Nietzsche with racism and Nazism, is proved.

The Methodology –Adequacy is assured in terms of questioning, interpretation and the living, thoughtful experimentation. The philosophical content –originality is clarified through investigating History-philosophy and valuating the value of all values.

Results: The most important results are: Refusal of constructing philosophical systems: Metaphysical, theological, Moral, Political…..etc. Refusal of the false criticism and accusation. There is a methodical Adequacy highly. The Philosophical Content- originality is assured completely through Nietzsche's insight of value and disvalue of History to fife, and his project of valuating the value of all values in order to establish Future –Philosophy.

Discussion: The two Approaches: 1-Estimating the degree of logical correlation, consistency and integration between ideas. 2-Results-Applicability in the living reality are used in discussing research- results.

A conclusion: There is a thoughtful, human and living value must be attributed to Nietzsche-philosophy . Also, there is a possibility of founding a human culture based on pure human philosophy aiming to building the highest man.

أصالة فلسفة نيتشه

آية مصطفى محمد غريب

مدرس مساعد بقسم الفلسفة و الإجتماع – كلية التربية جامعة عين شمس

مقدمة :

نشأت فكرة البحث فى تقييم أصالة فلسفة نيتشه عن الأطروحة التى قامت الباحثة بإعدادها لنيل درجة الدكتوراه . فقد تعرضت لمعالجة المفهوم المركزى فى فلسفته آلا وهو "إرادة القوة" و المسائل ذات الصلة . لقد تعرضت فلسفته لإنتقادات و إتهامات و إعتراضات و مغالطات متعددة و متباينة من جانب بعض الفلاسفة و المفكرين والباحثين و الشراح. و قد تبدى هذا التعدد والتباين فى شكل ثنائيات تأويلية تتعارض حدودها. حيث نرى (مبالاة و لامبالاة) ، (فهم و سوء فهم) ، (استحسان و استهجان) ، (تأييد و معارضة) ، (قبول و رفض) ، (نقد موضوعى و آخر مغرض).

و لما كان الأمر على هذا النحو و حيث إن البحث فى فلسفة نيتشه هو – بمثابة - مغامرة ذهنية وتجربة فكرية معاشة يصعب التنبؤ بنتائجها إيجابا و سلبا، فإن الباحثة ترى أن القيام بتقييم أصالتها لهو – بالدرجة الأولى – المهمة الأعظم صعوبة التى يمكن للباحث القيام بها. ذلك لأنه حين- يكون بصدد التأويل - فإنه يتخطى مرحلة الوصف و يصير مطالبا بتفسير و تقييم الرؤى الفلسفية التى طرحها نيتشه بشأن كافة المسائل ذات الصلة بموضوع البحث فى الرسالة .

و مفاد هذا أن الباحث – هنا – يكون مطالباً بإستخدام مبادىء تفسير لإكتشاف علاقات الإعتماد بين المطلوب تفسيره و مبادىء التفسير . تتمثل الأخيرة فى عدد من المنظورات الفلسفية التى تجسدها مصطلحات: الواقعية و المثالية والتاريخية والنفسانية و الحيوية والثقافة و الحضارة والعرق.... إلخ . لقد تناول الباحثون فلسفة نيتشه من منظورات متعددة و لم يكونوا قادرين على التوافق فيما بينهم على تأويل و تقييم واحد

يفسر معظم رؤى نيتشه الفلسفية . و من ثم صار تأويل فلسفته مسألة إشكالية يصعب حسمها من منظور أحادى التوجه.

لذا ترى الباحثة أنه من الصعوبة بمكان أن يجد المرء إجابة عن السؤال حول ما إذا كان يجب تأويل فلسفة نيتشه من منظور أحادى أو متعدد. ذلك لأن هناك بعض المفسرين الذين يرون أنها فلسفة واقعية، من حيث ماهيتها الخالصة . على حين يرى آخرون أنها فلسفة نفسانية بشكل أو بآخر. و هناك من ذهب إلى القول بأنها فلسفة مثالية أو وجودية.... ألخ.

يستند البحث – هنا – فى تقييم أصالة فلسفة نيتشه إلى فرضية مفادها أنه لما كان مضمون فلسفته الذى أرسى جذوره منذ عام ١٨٧٠ فى كتابه (مولد التراجيديا) لم يتغير على نحو جذرى حتى عام ١٨٨٨. و لما كان هذا المضمون قد تأسس على توجه تحليلى نقدى تأويلى فى شكل تجارب فكرية مفردة معاشة، فإن الباحثة ترى أن التأويل التحليلى النقدى هو – وحده – الذى يكون – فى مقدوره- حسم قضية فهم المعنى الدقيق لفلسفته و تقييم أصالتها. حيث كونه التأويل الأكثر كفاءة لمعظم رؤاه الفلسفية .

و لكن على الرغم من وضوح المعنى النهائى لفلسفة نيتشه، فإن المفكرين و المؤولين لم يتوافقوا على تأويل واحد. وبناءاً عليه فإن خطة البحث فى تقييم فلسفة نيتشه سوف تتضمن معالجة ثلاث قضايا رئيسية. الأولى، تفنيد الانتقادات و الاتهامات. و الثاني – كفاءة المنهجية. و الثالثة – أصالة المضمون الفلسفى.

أولا- تفنيد الانتقادات و الاتهامات:

***إشكالية أسلوب الكتابة :**

يمثل نيتشه نموذجا فريدا بين الفلاسفة العظام من حيث أسلوب الكتابة فهو يقدم مثالاً أكثر حداثة و إثارة. يمكن للباحث أن يحدد مسائل فلسفته **إلا أن** أسلوبه فى الكتابة مستخدماً تشبيهات و إستعارات و ألغاز، فضلاً عن تجاربه فى مجال أساليب الكتابة و التى لم تتوقف. يجعل من العسير قراءة أعماله من أجل تشييد عالم أفكاره. و يقال –

بصدد هذا – إن ثمة أمرين للتغلب على ذلك هما: **الإستمتاع بكتابته و الخبرة التى يكتسبها الباحث عند مواجهة المنظورات المتعددة التى يتفلسف نيتشه من خلالها**(١).

مما لا شك فيه أن – هكذا- وضعا يفرض على الباحثة عدم التسرع فى إتخاذ قرار نهائى بحق موقف نيتشه الفلسفى. هناك باحثون فى فلسفته قدموا أفكاراً مثمرة للغاية و أحكاماً موضوعية إلى حد بعيد ، بيد أنها لم تلقى قبولا. و السؤال يبقى مطروحا: لماذا لجأ نيتشه إلى أسلوب كتابته هذا فى التعبير عن أفكاره الفلسفية و الذى ترك تأثيره الفريد على أذهان متنوعة؟ و لماذا يظل نيتشه جديرا بالقراءة و التأمل و التساؤل و التأويل و التقييم على نحو متجدد دوماً- على الرغم من إشكالية اسلوب الكتابة؟

و إذا كان للباحث المؤوّل أن يصدر حكماً بحق أصالة فلسفة نيتشه فيجب عليه أن يقرأ أعماله المنشورة و غير المنشورة و مفكراته و خطاباته وقصائده. و ذلك للتعرف على تطور فلسفته و شمولية تفلسفه و قدرته على معايشة الأفكار فى تجارب فكرية قصدية – و التى لا تنفذ. و لعل الباحثة ترى هذه القدرة – بمثابة – نبوءة تحققت – بالفعل – فى فينومنولوجيا هُوسرل و غيره من علماء الفينومنولوجيا و الفلاسفة الوجوديين.

هذا فضلاً عن ضرورة تمكن الباحث المُؤوّل من معرفة المقابل – لآى مصطلح فلسفى قام نيتشه بسْكه – فى اللغة التى يستخدمها الباحث المُؤوّل. وباختصار، يمكن القول إن نيتشه ليس كاتباً متألقاً أو فقيه لغة فحسب، بل **فيلسوف أصيل** أيضا. لقد أستخدم كلمات - مفتاح معينة و التى يجب على الباحث و المُؤوّل أن يتعامل معها على نحو متسق. و بعبارة أخرى، يجب عليه أن يراعى موقع المصطلح فى السياق الذى ورد فيه حتى يمكن له بلوغ معناه لدى نيتشه.

كما أنه يلزم النظر إلى أعماله على أنها ليست إبداعات – منفصلة أحدها عن الآخر. حيث كتب نيتشه – كما يقول – **بدمائه**. و هو يقصد بذلك أن كل كتاب من كتاباته هو – بمثابة – جزء من الإنسان و أن الوحدة الوجودية الناتجة تجعل جميع

الأعمال أجزاءاً من عمل واحد مفرد. بل كل شذرة من شذراته تبدو – كأنها – يمكن أن تُفهم بذاتها على حده.

بيد أن الكتب – و ليس الشذرات فحسب – لا يمكن أن تُفهم منعزلة أحدها عن الآخر. لقد أصر نيتشه على تأكيد هذه النقطة و قام بممارستها من خلال الاقتباسات المتكررة من أعماله المبكرة. لقد أضافت هذه الأصداء الداخلية نغمات إضافية أساسية و منبهات ذات أهمية بالنسبة لتحديد معنى نيتشه. و يعد هذا الأمر مسببا آخراً لتحقيق الإتساق بشأن فهم أعماله و الحكم بحق أصالتها.

و جدير بالإشارة – هنا – القول بأنه من المستحيل أن يكون الباحث المُؤوّل أمينا فى تعامله مع مضمون فلسفة نيتشه بينما يضحى بالشكل أى أسلوبه فى التعبير والكتابة. ذلك لأن المعنى و الشكل أمران لا يمكن الفصل بينهما. لقد تَملك نيتشه موهبة طرح الأفكار و التحدث بحرية و هدوء و مهارة ووضوح.

عندما توفى نيتشه عام (١٩٠٠) كان ذا شهرة عالمياً وصاحب إرث فلسفى ينمو فى فلسفات لاحقة و محور خلاف و تضارب فى الدوريات و الجرائد[٢] . لقد كان "نَفُوذاً"، حيث نوقشت أعماله و كُتبت عن فلسفته مقالات و أعمال من حيث صلتها باليونان، دارون ، شوبنهاور، التحليل النفسى، الشعر الألمانى الحديث، الحرب العالمية الأولى ، إشبنجلر، المسيحية ، تولستوى، العرق، النازيين، الحرب العالمية الثانية، الوجودية، فلسفة القيم المعاصرة،فلسفة اللغة، وغير هذا و ذاك. و يمكن القول إن تأثير نيتشه متعدد الأوجه.

لقد انتقى معظم المؤولين لفلسفته خطاً واحدا أو أسلوبا واحداً سواء لمدحه أو توجيه اللوم له ، غير مدركين تماما أنه يوجد الأكثر. بل قد يقال إنه لربما يكون من الأفضل ألا يفكر الباحث المؤول حتى من خلال مصطلح" النفوذ- التأثير" . ذلك لأن هذا اللفظ يستثير لدى المؤمنين به تعقيدات التاريخ المتعددة على نهج ما حدث بالنسبة لموقف نيتشه إزاء النازية و النازيين. يعود ذلك إلى أن نيتشه كان معارضا بقوة لكل نازية على

نحو ما وجدها فى أفكار فاجنر الأيديولوجية و برنارد فوستر ، و فى العديد من المنشورات فى زمنه.

و إذا كان بعض الكتاب والمؤولين قد رأوا نيتشه داعماً للنازية ، فإنهم – بذلك – يكونون قد أساءوا قراءة موقفه. و يكون ذلك بقصد **تسييس** أقواله على نحو مغرض. حيث تم إجتزاء عبارات بعينها من سياقاتها و ضد ما تعنيه فى السياق التى وردت فيه. هذا فضلاً عن نسبة آراء قد رفضها نيتشه بشأن مفهومى "إرادة القوة" و " الإنسان الأعلى" و كذلك " بمنأى عن الخير و الشر " و غيرهما.

لم يدرك أصحاب هذا الإتهام أن توجه نيتشه – على نحو ما أكد عليه فى كتابه (هذا هو الإنسان) أنه ضد – السياسى على نحو رئيسى[٣] . كان إهتمامه الأولى منصباً على الإنسان الذى لا يرضى بالصيغ المسلم بها بدءاً بالبطركية إلى البروتستناتينية و كل ما هو (حزبى) . وترى الباحثة أن كل محاولة من جانب المؤولين للاحتيال على قصد و معنى نيتشه لهى محاولة مصابة بالعمَّى و سوء الفهم و مرفوضة.

حيث قدَّر نيتشه العقل مثله – فى ذلك – مثل بعض مفكرى عصر التنوير. كما قدَّر الهوى (الشغف، الولع) كما فعل بعض الفلاسفة الرومانتيكين. و كان – أيضا- قريبا من الفلسفة الوضعية الحديثة. و هناك بعض الفلاسفة الوجوديين الذين يعترفون بأن المحرك لعواطفهم كائن فى فلسفة نيتشه * . كما أن الملحدين يزعمون أنهم أتباعه. و يرى مسيحيون كُثر أنهم يفهمونه على نحو أفضل . و بمنأى عن محاولات تصنيف نيتشه – أيا كان – العنوان الذى يراه كل مؤوّل، فإن الباحثة ترى أنه من الانصاف و الموضوعية و النزاهة طرح بعض أوجه أصالة فلسفته التى تساعد فى الكشف عن القيمة الفكرية لإنجازه الفلسفى الغزير.

حاول نيتشه أن يُعظم تراث التنوير من خلال فهم أكثر عمقا للامعقول . و كان يرى نفسه ملزماً بأن يكون فيلسوفاً تجريبيا فكرياً يتناول موضوع البحث – أيا كان – كما يجب أن يكون مستخدماً علم النفس . و لعل الباحثة تتساءل – هنا – كما فعل نيتشه: "

من فيما بين الفلاسفة قبلى قد كان **عالم نفس** بالمرة "[٤] . و إذا كان نيتشه قد حاول أن يعيق فلسفة التنوير باستخدام علم النفس، فإنه قد سعى أيضا إلى أن يُحسن الرومانتيكية عن طريق فهم العواطف و الأهواء و الحالات الوجدانية بدلا من الغريزة العمياء، و من خلال تبجيل الإنسان الذى يتحكم عقله فى عواطفه و أهوائه. كما أنه أعلى من شأن التسامى و الإبداع. و جدير بالذكر – هنا – أن جميع أبطاله و شخوصه كانوا أناسا ذوى عقل سامٍ و إلهام و سادة عواطفهم و أهوائهم.

هذا و يرى بعض المؤولين أن نيتشه يعد من أنصار عدم التوافق مع الدين . تتأسس هذه الرؤية التأويلية على إفتراض أن تاريخ الفلسفة الحديثة بدءاً بديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠) يشهد بأنها قضية التحرر من الدين. حيث يمضى كل فيلسوف بعيداً فى الدعوة إلى التحرر من الدين، بيد أنه يعود – ضمنياً- للتسليم بغير القابل للتسليم به من جانب اللاحقين ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، قام ديكارت بالشك فى كل شىء، لكنه عندما قام بتقديم أدلة على وجود الله قد تبين أنها أدلة زائفة .

أما نيتشه فقد كان أحد الفلاسفة الأوائل صاحب فلسفة شاملة و التى من خلالها استطاع إستكمال القطيعة مع الدين. و هناك فلاسفة آخرون علمانيون – بالمثل – من القرن التاسع عشر سبقوا نيتشه ،لم يبلغوا المدى الذى امتدت إليه اهتماماته و نطاق رؤيته الفلسفية. و قد ذهب بعض المؤولين إلى القول بأن نيتشه هو المعبر الأفضل الأخير بين الوضعية و الوجودية، إذا تناولنا هذين العنوانين بأوسع مدى ممكن. ولما كان نيتشه مدفوعا باهتمام مكثف بمعنى تفكيره بالنسبة للإنسان، فإنه لم يستبق – فقط – كلا من فلسفة التحليل الحديثة و الفلسفة الوجودية و فلسفة القيم و فلسفة اللغة . بل كان – لديه- أيضا الأكثر الذى يقدمه إلى تلك الفلسفات و هو الاقتراب من المسار الأعظم للفلسفة العلمانية الحديثة .

و يمكن القول إن التحدى الذى واجه نيتشه كان مزدوجاً : فلربما قد بلغ ذاته الخاصة و المختصة به – على نحو يمكن أن نفهمه – عن طريق تأسيس رابطاً بين فرعين

مختلفين تماما من الفكر الفلسفى الحديث و بذلك يكون قد استفاد من كليهما. لقد خاطب نيتشه القارىء الإنسان و لم يرغب – قط – فى أن يُقرأ بوصفه رسولا لصالح شىء أو ضده. لم يتحدى القارىء لكى يمتثل له أو يتوافق معه أو لا يتوافق بقدر ما كان التحدى من أجل أن **ينمو** هذا القارىء و يرقى.

صار نيتشه موضع الاهتمام و الدراسة على نحو واسع مما كان عليه من قبل. حيث حظيت أفكاره الفلسفية بالفحص و التدقيق: نقده للأنساق الفلسفية ، مسألة ما إذا كان ملحداً، تقييم(تقدير) قيمة جميع القيم، كيف يصير الإنسان ما يكون عليه، إرادة القوة ، أخلاق السادة و أخلاق العبيد ، العرق السيد ، الإنسان الأعلى ، الاستقلال فى التفكير ، صنّمية الدولة، التدجين و التربية ، العود الأبدى ..... ألخ. هناك كثير من البشر كتبوا عن نيتشه، بيد أن قلة من الدراسين لفلسفته قد اسهموا فى الكشف عن أصالة فلسفته . لكن هناك أيضا أوجه قصور و إنتقادات وجهت إلى فلسفته من جانب هيدجر* و ياسبرز* . كما أن هناك من يرى أنه لا من فيلسوف حديث آخر – على الأقل منذ كانط قد تم تقديره بدرجة عالية من كتاب أجلاء أكثر من نيتشه .

هذا و يستلزم المنهج السليم فى البحث و التأويل آلا يسوق المؤوّل الدليل الذى يدعم رؤيته التأويلية الخاصة به، بل يجب عليه أن يبحث عن دليل مقابل و الذى قد يتعارض مع تلك الرؤية. كما أنه من الواجب على المؤوّل آلا يكتفى ببعض الأجزاء من أعمال نيتشه دون استيعابه لكافة الأفكار المتضمنة فى تلك الأعمال. ثمة دراسات عديدة حول فلسفة نيتشه غاب عن أصحابها مراعاة المتطلبات العلمية التى يتوجب على الباحث المؤوّل الالتزام بها مثل: تطورات الأفكار و السياق الذى وردت فيه الفكرة و العلاقات بين آراء نيتشه .... ألخ.

يمكن للباحث أن يربط بين نيتشه و عدد من الحركات و التيارات السياسية و الفلاسفة. بيد أن أى محاولة من جانب الباحث المؤوّل للتعريف بدلالة فلسفة نيتشه و معناها – بشكل رئيسى- من خلال تقارب – كهذا- أحادى محكوم بحقها بأنها محاولة

مضللة. ثمة أوجه تقارب بين نيتشه و العديد من الفلاسفة و المفكرين والمؤرخين و الأدباء و غيرهم السابقين عليه إلى جانب بعض الحركات و التيارات الفلسفية (فلسفة الحداثة، فلسفة التفكيك ، الفوضوية، ...الخ). و من ثم فإن أى محاولة لتأويل أصالة فلسفة نيتشه عن طريق حصرها فى اسم بعينه : فرداً أو تياراً فلسفيا أو ثقافيا أو سياسيا، يعد أمراً غير مقبول علمياً.

***العنصرية و النازية:**

لعل إتهام نيشته بالعنصرية و النازية خير مثال للإتهامات الباطلة المبنية على أساس غير علمى بل زائف. فقد قيل إنه داعية " العرق السيد" . يستند هذا الإتهام إلى قول نيتشه إن البولنديين هم الأعظم موهبة و سمو الأخلاق بين الشعب السلافى، و بدا له إن موهبة السلاف أعظم من موهبة الألمان. و كان يعتقد أن الألمان قد صاروا من بين الأمم الموهوبة عن طريق مزج قوى بالدم السلافى(٥). و إذا كان هذا القول يمثل رؤية نيتشه " للعرق" فلا بد و أنه يبين لنا أنه قد فضل مزج الاعراق. كما أن هذا القول يثبت أن إدعاء بعض المؤولين بان النازيين قاموا فقط بتوظيف أفكار نيتشه هو إدعاء زائف.

لقد اقتبس النازيون أقوال نيتشه مثل : (العرق السيد ، أخلاق السادة و أخلاق العبيد، الأعراق النبيلة و الأعراق المنحطة ... ألخ) و استخدموها وفقا لأغراضهم الذاتية . و تؤكد الباحثة أن نيتشه لم يستخدم مصطلح (العرق السيد) من منظور بيولوجى أو بمعنى سياسى أو أيديولوجى . و تعد هذه القضية ذات أهمية بالغة – ليس فقط- بالنسبة لتاريخ الأفكار ، بل بالنسبة أيضا لفهم فلسفة نيتشه بعامة و فلسفته فى (إرادة القوة) بخاصة، على نحو صحيح. تناول نيتشه مفهوم (العرق السيد) من منظور إنسانى محض. و إذا نظرنا إلى مفهومه عن (الحياة الجيدة) – على سبيل المثال- فسوف يتضح لنا على الفور – أن جميع البشر ليسوا متساوين فى القدرة على العيش بهذه الطريقة أى أن يكونوا (جيدين) و خالقين الجميل و صنأع العلو و العظمة.

وفقا لفلسفة نيتشه فى إرادة القوة ، يكون الإنسان ذو القيمة هو الإنسان الأقوى ، و يكون الإنسان الضعيف – و لا بد أن يبدو كذلك – هو الذى ليس بمقدوره أن يفعل شيئا ليجعل من نفسه إنسانا قوياً ، روحاً حرة، سيد ذاته. و لا شك أن بعض الناس يكونون أكثر حظاً بالطبيعة من غيرهم . فالقوة – حسب نيتشه – هى ما يرغب فيه جميع الناس و يسعون إلى تملكها.

حقا كان نيتشه مجبراً تحت تأثير الداروينية على إنكار أى اختلاف رئيسى بين الإنسان و الحيوان. ومع ذلك أصر على الاحتفاظ **بكرامة** للانسان تعلو به على الحيوانى . حيث رأى الفنان و القديس و الفيلسوف الموجودات البشرية الوحيدة بحق و أنهم الأنواع و الأمثلة الأكثر قيمة عن باقى البشر. و يمكن تأويل قيمتهم و جدارتهم من منظور قوتهم الإعظم لأنهم يحققون طموح البشرية .

و إذا كان نيتشه أكدَّ أن الفجوة بين بعض الناس و بين الآخرين أكثر دلالة مما تكون عليه بين الإنسان و الحيوان، فإنه – فى نفس الوقت- قد نظر إلى الفن و الدين و الفلسفة و ليس (العرق) باعتبارها ما يرفع الإنسان فوق الحيوانات و بعض البشر فوق البشرية. و ترى الباحثة أن – هكذا – تمييزاً يُعد حاسما لفهم قيمة الموجود البشرى و جدارته. و إذا بدا موقفه هذا أرستقراطيا ، فإن علاقته بالفلسفات ذات الطابع الديمقراطى تتوقف على هذه النقطة .

ذلك لأنه إذا كانت قيمة الموجود البشرى – حسب نيتشه- كل قيمة مشتقة من قيمة الإنسان ذاته – و حالة الوجود التى هو عليها ، وظيفة العرق أو أصل بيولوجى على نحو خالص، فإن النتائج لابد و أن تكون كارثية. حيث تصير الهوة بين (النخبة) القوية و بين أولئك الآخرين الذين ينتمون – بالضرورة- إلى الوسط ، ثابتة و دائمة . بل الوراثة و جموع كبيرة من البشر، و ربما أمم بأكملها قد يكون مقضى عليها – على نحو موثوق به أن تكون دونية و من المحتمل بلا جدارة – البتة - .

و مما لا شك فيه أنه فى حالة عدم رؤية مفهوم " القوة" و "قيمة " الموجود البشرى من خلال العرق أو المنظور البيولوجى ، بل عبر الإبداع الفنى و الفلسفى ، فإن الموقف التأويلى لابد و أن يصير ممكنا. حيث تنتشر الفضائل " الأقوى" و " ذات القيمة" على نحو واسع عبر القرون و القارات . و يجب - عندئذ - أن يتعامل جميع البشر باحترام بوصفهم موجودات بشرية بحق – على نحو كامن – على حد قول نيتشه.

و قد يقال – هنا – إن مفهوم " الموجود البشرى بحق على نحو كامن " قد يؤسس من جديد التمييز الأساسى بين الإنسان و الحيوان . و قد يقال – أيضا- إن أسطورة (العرق السيد) لربما تولدت عن مفاهيم يونانية معينة. حيث نظر الأثينيون إلى أنفسهم بوصفهم نسلاً من السادة بفضل عبقريتهم الفريدة. على حين نظروا إلى جميع الشعوب الآخرى على أنهم مجرد متوحشين و همجيين و مؤهلين لأن يكونوا عبيداً و هى فكرة أكدها أفلاطون و أرسطو.

و جدير بالذكر – هنا – إن نيتشه لم يكن ملتبساً بشأن موقفه بإزاء مفهوم (العرق) حيث إنه لم ينبذ الروح لكى يمُجد الدم. و يمكن توضيح رؤية نيتشه للعرق من خلال التركيز على **نقطتين رئيسيتين** صاغهما بوضوح تام فى معظم أعماله بدءاً من (تأملات فى غير أوانها) حتى مفكرات(إرادة القوة) و (هذا هو الإنسان) و **هما** : الإعتقاد بوراثة سمات مكتسبة و الإعتقاد بأن مزج الأعراق قد يساعد فى نيل (بلوغ) الثقافة. توجد كلتا النقطتين لدى الأفراد و الأمم.

فى كتابه (إنسانى مفرط فى إنسانيته) رفض نيتشه المذهب القومى – بوصفه – خطيراً و دافع عن الزواج المختلط بين أمم مختلفة و عبر عن أمله فى وجود عرق مختلط، عرق الإنسان الأوروبى[٦] . لم يكن نيتشه – قط – مبشراً أو طليعة المذهب النازى . و يمكن التدليل على صحة ذلك من خلال تعقب تطور أفكار نيتشه عن (العرق) و التاليه لما ذكره فى كتابه (إنسانى مفرط فى إنسانيته) .

فى كتاب (الفجر) كان مصراً على رؤيته لنسل مختلط مستقبلى. و قد رأى فوائد مكون الدم الصينى . و هو يعلن – أيضا- إمكان آلا توجد أعراق نقية، بل أعراق قد صارت نقية فقط ، و هذه تكون نادرة جداً. كما أنه رأى أن (الأعراق المختلطة) تعنى – دائما – و فى نفس الوقت – ثقافات محتلطة. و هو يضيف "أنها تكون – فى الغالب- أكثر شراً و قسوة و بلا راحة"[٧] و إذا استنتج المرء من هذا القول أن نيتشه كان مشمئزا من الأعراق المختلطة، فإن هذا الاستنتاج يعنى أننا قد فقدنا فحوى فلسفته.

فى التأمل الثانى، أكد نيتشه مبكراً[٨] رؤيته للتزواج بين الأعراق . حيث شخَّص نشأة الثقافة اليونانية عن تخصيبها من الحضارات الشرقية. كانت هذه الرؤية فى هذا السياق هى المرة الأولى التى استخدم فيها عبارة (أن ننظم العماء) ، على الرغم من قوله فى (الفجر) بأن الأثينيين هم أنموذج العرق و الثقافة التى صارت نقية . و بعبارة أخرى ، نظر إليهم بوصفهم شعباً "تملك" القوة الأبولونية لكى ينظم العماء الديونيوسى . يستند موقف نيتشه – هنا- إلى رؤيته للطبائع الضعيفة التى تخاف العماء بينما الطبائع القوية تنظمه.

ثانياً : كفاءة المنهجية :

يتضمن هذا العنوان معالجة بعض الأفكار ذات الصلة بمنهج نيتشه فى التفلسف و هى : الاستقلال فى التفكير و التساؤل و التجربة الفكرية و مفهوم التأويل و منهج الحفر.

***الاستقلال فى التفكير و إرادة الاستقلال:**

لقد أكد نيتشه على ضرورة الاستقلال فى التفكير حيث يقول : " إننى لمفتون بالاستقلال: إننى لأضحى بكل شىء من أجله .... إننى لمعذب بأعظم القيود صغراً أكثر مما يكون الآخرون معذبين بالسلاسل "[٩]. ينطوى هذا النص على معنى دقيق و أصيل للاستقلال و التحرر الذاتى من كافة القيود. و يقال إن خلفية نيتشه العائلية تتعارض على نحو مثير مع تفكيره الفلسفى المستقل المتأخر. و هو الأمر الذى جعل بعض المؤوّلين يرون أن فلسفته تعد – بمثابة – رد فعل لطفولته.

و إذا سلمنا بأن هناك بعض عناصر من تفكير نيتشه الفلسفى غير قابلة لأن تنفصل عن خبراته الشخصية. و إذا افترضنا أنه قد تأثر بأفكار فلاسفة و أدباء و كتاب و فقهاء لغة و مؤرخين ، إلا أنه قام بفحصها و تقييمها بعقل مستقل فاعل حيث وضع نفسه على مسافة منها . و تعد معركته مع فاجنر و القطيعة بينهما، الأولى و الأعظم بالنسبة إلى حروبه الممتدة من أجل تحقيق الاستقلال. لقد أطلق على نيتشه أسم (نبىّ الحروب الكبرى) نظراً لاصراره على تحقيق الاستقلال فى النظر و السؤال و الجواب . كما بدا نيتشه فيلسوفا مستقلاً من حيث أسلوب الكتابة و الذى كان موضع الأعتراض من جانب بعض النقاد و الباحثين و المؤوّلين.

لقد ربط نيتشه بين الاستقلال و التحرر من كافة القيود، فأى قيود و سلاسل قد نجح فى التحرر منها؟ و على نحو تحقق هذا التحرر- الذاتى ؟ يمكن الإجابة عن تلك الأسئلة إذا استعرضنا مواقف نيتشه إزاء بعض الفلاسفة و الفنانين و رجال الدين و السياسة ...ألخ. و لعل أيسر طريق إلى تحقيق الاستقلال فى التفكير – حسب نيتشه- هو ممارسة فعل التساؤل . يقول نيتشه : " إذا كنت ترغب فى أن تكون مخلصا للحقيقة – عندئذ- تساءل ..... أليس من الصعوبة فى الواقع أن نسلم بكل شىء قد تربى عليه الإنسان حتى الآن و الذى تضرب جذوره العميقة فى وعيه ... و الذى يُعد – بمثابة – حقيقة فى دائرة أناس جيدين كثيرين.

و الأكثر من هذا ، ما الذى عساه أن يريح الإنسان و يرفضه فى الواقع ؟ آلا يعد ذلك أكثر صعوبة من أن نقرع طُرقا جديدة، محارباً المعتاد ، خابراً عدم تأمين الاستقلال و تأرجح مشاعر الإنسان و حتى ضميره ، المتكرر، ماضيا فى طريقه – غالبا- بدون أى مواساة إلا مع الهدف الأزلى للحقيقى و الجميل و الخيّر؟ بالأحرى ألا تكون نتيجة تساؤلاته شيئا لا مبالياً بأكمله بالنسبة للمتسائل الحقيقى ؟ لا ، الحقيقة – فقط- حتى إذا كانت الأعظم بغضاً (كرهاً و قبحاً)"(١٠)

و يكشف هذا النص عن أن الأخلاص للحقيقة يستلزم قيام الإنسان بالتساؤل و إدراك صعوبة التسليم – على وجه الإطلاق- بما نشأ عليه الإنسان و محاربة المعتاد و تأمين الاستقلال. هذا فضلاً عن أن يبحث الإنسان عن الراحة و السلام و السرور فى تساؤلاته. كان نيتشه يعتقد أن الإيمان لا يقدم للإنسان الدعم للحصول على دليل يتعلق بالحقيقة الموضوعية. هنا تفترق طرق البشر ، يقول نيتشه : " إذا كنت ترغب فى النضال من أجل تحقيق سلام النفس و السرور – عندئذ- آمن (اعتقد). إذا كنت ترغب فى أن تكون مخلصا للحقيقة – عندئذ – تساءل ...." (١١)

و تتساءل الباحثة بدورها : لماذا أستخدم نيتشه أسلوب كتابة الشذرات - بوصفه – منهجاً فى التفلسف؟ تنحصر الإجابة عن هذا التساؤل فى القول بأن هذا الأسلوب قد استخدمه نيتشه - بوصفه - تجربة فكرية من أجل تخطى متاهة المفاهيم و الفرضيات و المسلمات و بلوغ المشكل ذاته موضع التساؤل . فالكلمات – المفتاح التى استخدمها نيتشه تعد تجارب فكرية . و قد أصر على ضرورة قيام الفيلسوف بإجراء تلك التجارب الفكرية و أن يظل ذهناً منفتحاً و مستعداً لأن يعلن أدلة تضاد رأيه. و يكون شأنه فى ذلك شأن العالم الذى يقوم بمراجعة نظرياته فى ضوء نتائج تجارب جديدة.

كان نيتشه يعتقد بضرورة الاستقلال عن الإرث الفلسفى بشأن هذه النقطة على وجه الخصوص. حيث رفض النظر إلى الأسئلة و التجارب الفكرية المعاشة و التى تناولها فى شكل شذرات بوصفها موضع إنكار أو تحقير. هذا ما يجب أن يكون عليه فيلسوف المستقبل الذى لن يتنصل من الأسئلة الصغيرة، بل يأخذها بعين الاعتبار. و قد أكدّ هذا المعنى بشأن فيلسوف المستقبل قائلاً: " نوع جديد من الفلاسفة آتٍ.... فلاسفة المستقبل هؤلاء قد يلزم – على نحو عادل ، و ربما أيضا على نحو غير عادل – أن نسميهم مجرد **محاولين** . و يُعد هذا الاسم – على حد قوله **محاولة** فقط . و سوف يكون هؤلاء أكثر تواضعاً"(١٢)

لقد تساءل بعض الباحثين و المؤوّلين : لماذا؟ لأى سبب أو غرض رفض نيتشه تشييد الأنساق و فضل كتابة الشذرات؟ لقد كان لديه أسباباً قوية تفسر – لنا- عدم تملكه نسقا فلسفيا كالسابقين عليه من الفلاسفة . فالنسق يُبنى – بالضرورة- على مقدمات التى – بوصفها مسلمات – لا يمكن أن تكون موضع تساؤل و فحص . و هو يرفض التسليم بأى مسلمات لا تخضع للتساؤل. يقول نيتشه : " إرادة النسق لدى الفيلسوف .... فساد و إحتيال ، مرض الشخصية ... إرادته أن يكون أكثر ثراءاً مما يكون عليه" (١٣)

و ترى الباحثة أن ثمة رسالة – هنا – موجهة إلى كل إنسان و هى : أن ما يعترض عليه نيتشه هو فشل الإنسان فى مساءلة قناعاته و افتراضاته الخاصة و المختصة به. إن الفيلسوف المولع بتشييد الأنساق سوف يبدو أكثر غباءَ مما هو عليه لأنه يرفض أن يضع مقدماته موضع التساؤل لقد ظلت هذه الدعوة إحدى القضايا دائمة التواجد فى تفكير نيتشه و التى صاغها على نحو مميز و بلغة الإدانة حيث يقول: "إرادة النسق هى إنعدام الاستقامة "(١٤) . بل الأكثر من هذا النقد ، أنه رأى بناء الأنساق – بمثابة – إنعدام الجدية ، طفولة "(١٥).

لم يكن نيتشه فيلسوف النسق ، بل فيلسوف المشكل . لقد كان المتسائل – دوما- الأكثر صرامة . و قد تولد عن تساؤلاته شك فى إمكان أن توجد الحقيقة فى أنساق فلسفية سابقة و التى يلزم – بالضرورة – أن توضع موضع التساؤل. و كان أستخدامه اسلوب الكتابة من خلال الشذرات محاولة من جانبه لتخطى متاهة المفاهيم و المسلمات و الافتراضات لبلوغ المشكل ذاته. و قد وظف هذا الأسلوب فى خدمة ما أطلق عليه أسم " التجربة الفكرية المعاشة".

كان نيتشه يعتقد بضرورة الاستقلال عن الإرث الفلسفى لأنه – بمثابة- أنساق فلسفية تقوم على مسلمات لا يمكن التسليم بها على حد قوله. كما أنه رفض النظر إلى الأسئلة و التجارب المفردة و الصغيرة أن تكون موضع الرفض و الإزدراء. هذا فضلا عن إعتقاده بأن محاولة الفيلسوف إيجاد حل لجميع الأسئلة عن طريق إفتراض مبدأ

واحد، تمثل – رغبة دفينة – لديه و طموحاً غير محدود لأن يكون المفكر الأوحد الذى يستطيع تفسير لغز الكون. لقد عاش كثير من الفلاسفة هذا الوهم .

لذا رأى نيتشه أن فلاسفة المستقبل لن يكون لديهم تلك الأوهام : ذلك لأنهم لن يتنصلوا من وضع الأسئلة الصغيرة، بل سوف يأخذونها بعين الاعتبار و ينظرون فيها بناءاً على أوجه جدارتها الخاصة بها. فالأسئلة الصغيرة و التجارب الفكرية المفردة ليست – حسب نيتشه- أعراضاً ملازمة للنسق الفلسفى الذى يتوهم صاحبه أنه – بمثابة – حل لجميع الأسئلة المطروحة. و قد أكدّ نيتشه هذا المعنى قائلاً : " نوع جديد من الفلاسفة آتٍ ... تنحصر العظمة فى تملك الإنسان ذاته الخاصة فى شكل نسق بلا نهاية يتألف من آراء حرة و غير مقيدة "(١٦).

مما لا شك فيه أن نيتشه بسخريته و إشمئزازه من بناة الأنساق الفلسفية الكبار، يكون قد أوضح – لنا – مدى الاستقلال فى التفكير و إرادة السؤال اللذين طالب الإنسان أن يمارسهما بجرأة و شجاعة . و على حين أن الأنساق الفلسفية تظهر و تمضى ، فإن التجربة الفكرية و التى يمكن تأويلها على نحو مختلف ، تبقى حيث كونها خبرة فكرية معاشة .

و قد يقال إن التجربة الفكرية المعاشة عند نيتشه ذات صلة بالبراجماتية. بيد أن الباحثة ترى عدم إمكان مساواة التجريبية الفكرية عند نيتشه بالبراجماتية . و يعود ذلك الرفض إلى أن التجربة الفكرية لدى نيتشه ليست هى – تماما – ما تكون عليه التجربة عند معظم الفلاسفة و العلماء الآخرين . فالسمة المميزة لها هى ما يُسّمى (الكيفية الوجودية) الخاصة بها. و تنوه الباحثة إلى أن استخدام اللفظ "وجودى" – هنا لا يفيد تثبيت موقع نيتشه فى تاريخ الأفكار بأنه ينتسب إلى تيار فلسفى أو استنتاج شىء أكثر مما تعنيه كلماته هو ذاته.

كانت الأسئلة التى تسمح بالقيام بإجراء التجربة الفكرية بشأنها – كما رآها نيتشه– هى الأسئلة التى يستطيع أن نجيب عنها. و كما يقول : دعنا نحاول بشأنها. و بعبارة اخرى، يتضمن فعل التجريب إختبار الجواب على السؤال المطروح ، عن طريق

محاولة العيش وفقا للجواب . و جدير بالذكر – هنا- أن قول نيتشه بأن يعيش الإنسان وفقاً للأجوبة التى يتوصل إليها هو ذاته على الاسئلة المطروحة لا يتعلق فيما بعد التفكير. ذلك لأن المشكل موضع التساؤل يكون لدى المتسائل خبرة معاشة عميقة به. و كان يرى أن الأسئلة التى يخبرها الإنسان بعمق – كهذا – لهى – فقط – التى تحظى باهتمام خاص .

و مفاد هذا أن الأسئلة التى تقدم أنفسها – لنا – بقوة بحيث تهدد حال حياة المفكر – أى الحال المعاش الحاضر – هى التى تؤدى إلى نشأة التساؤلات الفلسفية . و قد يقال إن هذا الشرط يعد – بمثابة – تحديداً تعسفياً لموضوع- البحث . كان نيتشه مؤمناً بأن التساؤل يجب أن يتخذ نقطة بدئه مُشكلاً عينياً وليس مصطنعاً أو أكاديميا. و إتساقاً مع رؤيته تلك ، كان نيتشه جاهزاً لمساءلة النسق التربوى بأكمله فى زمنه.

يعنى فعل التساؤل - عند - نيتشه – من حيث كونه تجربة فكرية معاشة – فعل الخبرة على نحو ملىء و ذهناً متفتحاً بدون تحفظات. و يتبدى فشل الإنسان فى التساؤل أكثر فأكثر بوصفه مرادفا للرغبة فى عدم تملك الخبرة أى ألا يخبر الإنسان التضمينات الممكنة التى ينطوى عليها السؤال . لذا هاجم نيتشه **إنعدام الإستقامة الفكرية**. و كان يعتقد أنه بواسطة إجراء التجارب الفكرية المتواصلة سوف يتحاشى الوقوع فى اللا – إستقامة الفكرية . فالنهج المثالى فى التفلسف- عنده – ينحصر فى فحص كل مُشكل بناءً على اوجه الجدارة الخاصة به .

***التجريب الفكرى و التأويل :**

لم يكن نيتشه فيلسوفا دجماطيقياً ، بل صاحب ذهن متفتح و قام بتجارب فكرية لا حصر لها و التى أقام عليها رؤاه الفلسفية المتأخرة. يقول نيتشه : " يجب آلا يُخدع الإنسان: الأرواح العظيمة شكاكاً . زرادشت أحد الشكاك ... القناعات – بمثابة – سجون " (١٧). و بالمثل طالب بضرورة إخضاع المعتقدات التقليدية لتساؤل جديد – دوماً- فى ضوء الخبرات و الأفكار الجديدة. بذلك يمثل نيتشه بدء فترة جديدة فى تاريخ الفلسفة و

كان واعيا بهذا جيداً. و لقد نمت و تطورت معظم رؤاه الفلسفية بعد وفاته بفضل مفكرين و فلاسفة آخرين بل و علماء النفس و بعض الكتاب من بينهم : فرويد و أولر ، يونج ، و كلا من إشبنجلر ، شلر ، هارتمان ، هيدجر، ياسبرز ، سارتر و آخرين غيرهم.

فى ضوء ما سبق يكون من الزيف أن يستنتج المرء أن نيتشه كان مجرد كاتب شذرات و غارس بذور و أنه ليس فيلسوفاً . و إذا كان نيتشه لم يُسائل جميع أسئلته و إفتراضاته ، فإنه قد نجح فى صياغة فلسفة متلاحمة جديرة بالذكر من حيث الإتساع و العمق و الأصالة.

هذا و تتضح كفاءة التوجه التجريبى الفكرى فى التفلسف لدى نيتشه فى رؤيته لمعنى "المذهب الطبيعى " . حيث رأى أنه – بمثابة – نظرة تقيد ذاتها بما هو طبيعى أو عادى من حيث تفسيراته دون اللجوء إلى ما وراء الطبيعة و مايكون – فائق- الطبيعة أو أسطورياً. يرتبط هذا النظر بموقف نيتشه إزاء عقلنة الفلاسفة للتقييمات السائدة حيث رفض ذلك و مضى إلى طرح مشروعه فى تقييم قيمة جميع القيم . رأى نيتشه هو نفسه معارضتة لعقلنة القيم السائدة خطوة عظيمة على طريق إبتعاده و إستقلاله عن الفلسفة التقليدية .

لقد اتهم نيتشه بعض الفلاسفة بإنعدام " الضمير العقلى" و " الإستقامة الفكرية" لديهم(١٨). فماذا عسى أن يكون الضمير العقلى ؟ رأى نيتشه أن أكثر ما ينقصنا هو الضمير العقلى و أكثر ما نجده أمراً حقيراً أن نعتقد هذا أو ذاك و أن نعيش وفقا له دون ان نكون واعين. بالأسباب النهائية و الأكثر تأكيداً سواء كانت معه أو ضده. بل و حتى بدون أن نتحمل مهمة القيام بفحص تلك الأسباب فيما بعد. هناك أناس أعظم موهبة لا يزالون ينتمون إلى هولاء . يقول نيتشه : " آلا تتساءل ، آلا ترتجف مع إشتهاء التساؤل و الفرح به .... لهو ما أشعر أنه أمر حقير. و هذا الشعور هو الشىء الأول الذى أبحث عنه فى كل إنسان"(١٩)

كان المغزى الحقيقى لرؤيته تلك أن التوافق مع النظام القائم يؤدى إلى توافق آخر. حتى كانط هو نفسه قد توقف عن التساؤل حول القانون الخلقى و هو بذلك قد أفسد فلسفته

الخلقية[٢٠]. يجب على الفيلسوف الحقيقى آلا يقوم بعقلنة تقييمات مجتمعه الخاص و تبريرها . ثمة تلميح جلى – هنا- إلى الفيلسوف الذى يكون **مستخدماً** لدى الدولة. لقد أوضح نيتشه أن أى توافق مع النظام القائم يحول دون أن يتتبع المفكر الفيلسوف الحقيقة المختبأة فى جميع القرارات السيادية [٢١]. ثمة دلالة منهجية – هنا – لهجوم نيتشه ضد الفيلسوف الذى يمتثل للنظام القائم ، الدولة ، الحاكم .

لا أحد قبل نيتشه – على حد قوله - قد غامر بنقد مشاعر – القيمة الخلقية . و كان يرى أن الخطأ ينتشر – على نحو غير ضرورى – حين يُسمح للمذاهب الأخلاقية التى يتم إفسادها و تعطيلها بفعل إنحراف شخص ما أو توافق مع الدولة و إمتثال لها و المؤسسة الدينية . أن تصبح الأساس للقيام بإجراء فحوص ميتافيزيقية و إبستمولوجية. لقد كان ذلك هو الحال فى أغلب الفلسفات[٢٢] . و إذا كان نيتشه قد اعلن –صراحة – معارضته لأى عقلنة للتقييمات السارية ، فإن السؤال يبقى مطروحاً وهو : أى دليل سوف يقدمه نيتشه ؟ إنه يقدم نفسه لنا-بوصفه- نبىّ تشريع و المقيم الجديد.

هذا و ترى الباحثة أنه لكى تكتمل رؤية كفاءة المنهجية لدى نيتشه فإنه يلزم طرح مفهوم التأويل لديه و الذى يدخل فى صميم مسألة حسم ماهية ممارسة فعل التساؤل و إجراء التجارب الفكرية. يقول نيتشه : " أن نفسر حياتنا الغريزية برمتها بوصفها تهيئة و تفريعاً لشكل أساسى واحد من الإرادة آلا و هى إرادة القوة ، تلك هى أطروحتى الخاصة "[٢٣]

حسب نيتشه ، ليس ثمة واقع موضوعى متفق عليه، كما أنه لا وجود لأى " مفاهيم " أو مقولات خالصة أو جاهزة للعقل السليم ، بل الواقع و اللغة و المفاهيم هى أمارات ، علامات حية عن إرادة القوة ، لعبة تأويلات تدور حول زيادة مطردة للقدرة على الحياة[٢٤].

رأى نيتشه التفكير الفلسفى – حصرياً- فى نزع الطابع التنسكى عن العقل البشرى . و ذلك بأن نحرره من " مثل عليا نهائية" حول **معنى وجودنا على الأرض** حيث يؤكد نيتشه على " أن كل حادثة فى العالم العضوى هى غلبة و سيادة و أن كل

غلبة و سيادة هى بدورها تأويل جديد و ترميم معه لابد و أن يصبح "**المعنى** " و"**الهدف**" السابق مستوراً أو ممحواً تماماً "[٢٥]. و كل الأهداف و كل الفوائد إن هى إلا إمارات على هذا.

أن إرادة القوة قد صارت كما سيد مقتدر على شىء أقل منه قوة . و ختم له من نفسه على معنى وظيفة ما. و أن التاريخ الكامل لشىء ما و عضو ما و تقليد ما إنما يمكن أن يكون على هذا النحو سلسلة علامات متصلة من التأويلات و الاستصلاحات الجديدة على الدوام لا تحتاج أسبابها ذاتها لأن تكون فى تلازم فيما بينها، بل حسبها على الأرجح – إذا أقتضى الحال – أن تتالى على سبيل المصادفة و أن تتناوب. إن الشكل لسائل (لمائع) . لكن المعنى أكثر و أكثر ....[٢٦].

يتضمن هذا النص الأفكار الفلسفية التالية : تحرير العقل الإنسانى من المثل العليا النهائية و التى تتعلق بمعنى وجودنا على الأرض . كل ما يحدث فى العالم العضوى غلبة و سيادة و هو تأويل جديد. تاريخ كل شىء – أيا كان – إن هو إلا سلسلة من علامات متصلة من التأويلات . مفاد هذا أن **التأويل شكل من أشكال إرادة القوة** . و ذلك لأنه معايشة قصدية لما يراد تأويله من أجل تحرير " المعنى الحقيقى " للإنسان من سلطان الكاهن. التأويل تحرير للمعنى و إطلاق لقوة الإثبات إلى اقصى ما يمكن من **إرادة السؤال** عن قيمة الحياة.

و من ثم فإن نيتشه يُحرض على الربط بين " مصلحة الحياة ذاتها" و بين "معنى" أى نوع من التقييم. و لذلك فإن كل موقف نسكى أى يدرب النفس الإنسانية على الاستغناء عن دوافع الحياة هو تناقض مع النفس[٢٧] . و مفاد هذا انه تناقض لأنه يدرب الحياة على **إرادة العدم**، من خلال ممارسة فن الرجاء فى عالم آخر .

التأويل – وفقا لنيتشه – سلوك طبى ضرورى للشفاء من عدوى " الأخلاق " حسب المثل العليا النسكية[٢٨] . **ليس التأويل** – عنده – بحثاً عن المعنى المختبأ فى النصوص أو فى الظواهر الأخلاقية . **بل محاولة الربط بين المعنى الذى يعطيه الكائن**

الحى لحياته و بين نمط المعاناة الذى أقام عليه ذلك المعنى . و بالتالى فإن التأويل – كما رآه نيتشه – ليس دحضا منطقيا لأى تناقض مع النفس ، **بل محاولة لفهمه وفقا لمنطقه الحيوى الخالص** بعيداً عن أى منطق آخر لأنه سيكون مجرد مكر حيوى متنكر.

هذا و يؤكد نيتشه أن إرادة الإنسان أن يرى على نحو مخالف ليست تربية أو تهيئة هينة للعقل من اجل " موضوعية" مرتقبة .... بوصفها القدرة على أن نملك نَعمنَا، و لاءنا تحت سلطتنا و ان نرفعها و نضعها كما نريد : بحيث يعرف الإنسان حتى بإزاء إختلاف المنظورات و التأويلات الوجدانية – كيف يجعلها فى خدمة المعرفة "[٢٩]. إن دعوة نيتشه لنا **أن نفهم بطريقة مغايرة تعد موقفا تأويليا مضاداً لكل نمط نسكى** . كما أنه يربط بين الطابع "المنظورى" للوجود و الطابع التأويلى لمعانيه المتعددة و اللامتناهية.[٣٠] ثمة تأويلات بقدر ما توجد " لحظات" فى وجودنا و كل لحظة هى بذاتها تأويل.

و إذا كان البشر غير قادرين على التحرر من " التأويل الدينى" [٣١]. فإنهم لن يتحرروا منه إلا من خلال تأويل آخر أكثر صحة . إن الحياة ذاتها – حسب نيتشه – نزاع غريزى مع المعنى و اللامعنى . لكن الهدف واحد : " **أن تبرر ما فيها من معاناة** " . و من ثم يجب على الإنسان أن يفرق بين "التأويل " الصحى و بين "التبرير" الذى يستند إلى عدم " التمييز " بين " المعنى " و " المعاناة".

إن الإمتناع عن التأويل هو – بمثابة – الأمر النسكى الذى يُمارس على الإنسان الاخلاقى. و هو الأمر الذى تحكم فى معنى الوجود على الأرض منذ بضعة ألاف من السنين. إن الهدف الحقيقى لإرادة أصحاب هذا الأمر النسكى المريضة – على حد قول نيتشه – هو تدجين " الألم" و تحويله إلى **متعة عدمية** تحت التصرف . و يكون دور فيلسوف المستقبل أن يقوم بتعرية المكر النسكى مهما كان مختبأً. و ذلك **بإثبات العلاقة اللازمة بين المعنى و المعاناة** . حيث أن ما يستثير مقاصد الألم، ليس الألم بحد ذاته، بل **لا – معنى الألم**[٣٢] .

فألم النفس – حسب نيتشه – لا يجب أن يُبرر – بوصفه – أمراً واقعاً. بل باعتباره تأويلاً فحسب ، أى تفسيراً سببياً لوقائع لم يتم صياغتها على نحو دقيق . و تتساءل الباحثة – هنا – آلا يعد كتاب (جينالوجيا الأخلاق) و كتاب (بمنأى عن الخير و الشر) تحقيقاً و تجذيراً لما أسماه نيتشه "الأنوار الجديدة" و ثمة تساؤل آخر و هو : آلا يُعد نيتشه – بالأصالة – فيلسوف التنوير بحق ؟

و جدير بالاشارة – هنا- أن المثل العليا النسكية لا تقتصر على الدين فقط و الذى يُعد حالة جزئية منها، بل تسربت – كما قال نيتشه- إلى كل من الفن و الفلسفة و العلم و حتى الإلحاد نفسه. و هو يؤكد أن " الامتناع عن القيام بأى تأويل بعامة (بأى عنف أو تعديل أو اختصار أو حذف ... أو إختلاف أو ترتيب و سائر ما يدخل فى ماهية كل تأويل) كل ذلك إنما يعبر ، متى أخذ قى جملته ، عن نسكية الفضيلة ، بنفس القدر الذى يعبر به عنها ، أى نفى لشهوة الحس . لكن ما يكره عليها هو هذا الشكل من إرادة الحقيقة غير المشروطة ، إنما هو الإيمان بالمثل الأعلى النسكى ذاته .... إنه الإيمان بقيمة ميتافيزيقية [٣٣].

رأى نيتشه التأويل الدينى كأحد أنواع التأويل التى تُعظم رؤيته لفعل التأويل ذاته.[٣٤] وفى مقابل الكاهن النسكى الذى يقوم بممارسة التأويل الدينى ، يقدم – لنا – نيتشه الفيلسوف – بوصفه - روحاً حرة ، لا يُنفى الوجود الإنسانى ، بل يثبت وجوده إلى الحد الذى – معه- لا يقف بعيداً عن هذه الأمنية : " لِيَفْنَّ العالم ، لِتكنْ الفلسفة ، ليكن الفيلسوف ، لأكن أنا "[٣٥] .

يفكر الفيلسوف فيما لا يمكن له – قط – الاستغناء عنه " التحرر من الإزعاج و الضوضاء و المشاغل و الواجبات و الهموم ، الصفاء فى الذهن ، أن تكون الأفكار وثباً و تحليقاً ، هواءاً عليلاً ، رقيقاً ، رائعاً ، حراً ، جافاً حيث يصبح كل كائن حيوانى روحانيا أكثر"[٣٦] بذلك يصير فيلسوف المستقبل رافضاً الاتكال على الآخرين و

الخضوع لوصايتهم أيا كانوا : حتى لو إفترضنا أن الفلسفة قد توكأت على المثل الأعلى النسكى كأنما على عصا للتعلم المشى و هى صغيرة تخطو خطواتها الأولى .

هكذا يتبدى – لنا – نيتشه – بوصفه- سيد التأويل الحيوى الذى تخطى " كل " الكهان الذين يعلمون البشر فن الإمتناع عن التأويل – على حد قوله – و هو يتساءل : هل يوجد اليوم ما يكفى من كبرياء و جرأة و بسالة و طمأنينة و إرادة روحية و إرادة المسئولية و حرية إرادة، بحيث إن الفيلسوف على الأرض قد صار بالفعل منذ الآن أمراً ممكنا؟ (٣٧)

و يوجه نيتشه بأنه يجب على الباحث عن المعرفة الحقيقية ألا يكون ناكراً للجميل بإزاء هذا النوع من الانقلابات الحاسمة بشأن المنظورات و التقييمات المعتادة التى – بها – تثور ثائرة الروح ضد نفسها. بحيث يكون له أن يرى الأشياء مرة واحدة على نحو مغاير. ليست هذه تربية أو تهيئة هينة للعقل من أجل موضوعية مرتقبة ، "بل بوصفها القدرة على أن نتملك نعمنا ، و لاءنا تحت سلطتنا ، و على ان نرفضها أو نضعها كما نريد"(٣٨)

ثالثا: أصالة المضمون الفلسفى :

يندرج تحت هذا العنوان معالجة بعض أوجه أصالة فلسفة نيتشه و هى : فلسفة التاريخ و فلسفة تقييم و تقدير قيمة جميع القيم .

***فلسفة التاريخ :**

فى التأمل الثانى المعنون (عن نفع و ضرر التاريخ للحياة) عام (١٨٧٤) يحدد نيتشه لفظ "التاريخ " بأنه يعنى دراسة التاريخ و ليس مجرى الأحداث ذاته. و تشير الإفتتاحية إلى هذا التأمل باعتباره "تأملاً" فى قيمة أو لا – قيمة " التاريخ" . و كان نيتشه يقصد إلى تقييم هذه القيمة فى حدود نفع الحياة أو الإضرار بها. هذا و يقال إن هذا التأمل كان موضع إهتمام خاص – من جانب نيتشه- نظراً لتأثيره الحاسم فى مسار فلسفته.

ذلك لأن نيتشه – فى هذا التأمل – يطرح أسلوباً لدراسة التاريخ، بدا واضحاً فى دراسات كثيرة تناولت أناسا عظماء ، أمثال شكسبير ، جوته ، سبينوزا ، سيزر . كما أن هذا التأمل ليس بأقل أهمية بالنسبة للباحث الذى يدرس تطور فكره الفلسفى. حيث نرى

نيتشه – هنا – يتنازل عن إنشغاله السابق بالفن ، كما بدا واضحاً فى كتابه (مولد التراجيديا) و يتحول إلى البحث فى تقييم و تقدير قيمة القيم خارج النطاق الجمالى . كما أنه يبدأ فى التعامل مع الصعوبات التى فرضتها الدارونية.

فى التأمل الأول عن (شتراوس) عام ١٨٧٣لم يكن نيتشه مستعداً بعد لمنازلة دارون. و إذا كان قد رأى إنكار وجود أى اختلاف حقيقى بين الإنسان و الحيوان – كما ذهب دارون- أمراً غير مريح بالنسبة له ، إلا أنه لم يكن جاهزاً – بعد – للقيام بفحصه و تدقيقه . و قد عاد فى التأملين الثانى و الثالث إلى هذا السؤال و مضى فى بحثه إلى الحد الذى – معه- أدرك عدم مطابقة (كفاءة) فلسفته المبكرة . و ترى الباحثة – هنا – قدرة نيتشه على ممارسة إرادة النقد الذاتى و إرادة تقييم قيمة رؤاه الفلسفية السابقة . و مفاد هذا ، أنه رأى **إرادة النقد** كأحد أشكال إرادة القوة . و يُعد هذا الأمر أحد أوجة أصالة فعل التفلسف لديه.

يتسم التأمل الثانى من (تأملات فى غير أوانها) ببعض الملامح ذات الدلالة . فى البداية نرى الإنسان يضاد قطيع الماشية الذى يعيش فى اللحظة الآنية ، و ينسى و قد يكون أكثر سعادة مما يكون عليه الإنسان . و كان نيتشه يعتقد أن التاريخ- على نحو حاسم – ليس أصل السعادة . و ثمة ملمح آخر لهذا التأمل و هو تأكيد نيتشه للمعاناة و التى تتميز بكونها حية و شخصية و معاشة . و هو ما أضفى على فلسفته سمة غير أكاديمية كانت موضع إختلاف بين قرائه و مؤوِّليه.

فهناك من رأى أن هذه الكيفية الشخصية غير الملائمة تجعل من فكر نيتشه "واحة حياة فى الصحراء"(٣٩). بينما بالنسبة لمفكر آخر قد لا تبدو هذه السمة على هذا النحو. ذلك لأن نيتشه لم يكن – قط – كياناً محطماً . و قد شعر بعض الكتاب بأنه لم يكن يليق بإنسان لطيف أن يصنع – هكذا معاناة (٤٠).

ويكون من الإنصاف – هنا- إن نقول ان تأكيد نيتشه للمعاناة لم يكن يعود إلى إفتتناه بالدنىء (الخسيس) بل قد نقول إن تأثير دراساته التاريخية و لربما – إلى حد ما

– تحت تأثير المؤرخ بوركهار هاردت ، فضلا عن خبرته الشخصية بمعاناة المرض و معايشة الآمه و عذاباته، كان مأخوذا و متأثراً برعب الحياة و قسوتها. و قد خَبُرَّ – فيزيقيا – على الدوام ، المرة تلو المرة – عذابات .... " [٤١]. هذا فضلا عن كونه قد عجز عن التغلب على الكرب المخيف الذى ألم به حين تحول تأثير فاجنر و يصير ضداً لما كان قد أمل أن يكون عليه .

و ترى الباحثة أنه ليس ثمة حاجة ملحة للحكم بحق تركيز نيتشه على معاناته الشخصية و الزعم أنه قد أدى به إلى إساءة الفهم – على نحو خطير . بل لعل الباحثة تؤكد أن مصطلح "المعاناة" قد لعب دوراً كبيراً فى فلسفته الوسيطة و المتأخرة . فى كتابه (مولد التراجيديا) أكد نيتشه أهوال التاريخ بوصفها تحدياً قد يؤدى بالإنسان الضعيف إلى بعض من نفى و إنكار الحياة . على حين يقود هذا التحدى ذاته الإنسان القوى إلى إبداع الجميل.

لذا نراه فى التأمل الثانى يؤكد أن التاريخ يكون ذا قيمة بقدر ما يغوص (يغطس) فى بؤس عميق. و هكذا يدفع بالإنسان القوى المعافىَّ إلى إحباط و قهر معاناته عن طريق إبداع الجميل. و مفاد هذا أن **المعاناة** – بمثابة- **منشط قوى للإبداع**. و لعل ذهنه المتفتح أنقذه من الوقوع فى ألوان التهافت بشأن تأويل تأكيده رعب الحياة و معاناتها . كان نيتشه راغبا – دوما- فى القيام بمراجعة رؤاه الفلسفية فى مقابل الدليل الجديد، وهو ما يتسق مع تجريبيته الفكرية. لم يتصور نيتشه نفع التاريخ أو ضرره للحياة على نحو يتناسب مع ملاحظاته حول التاريخ فى كتابه (مولد التراجيديا).

تتبدى أصالة فلسفة التاريخ – عند نيتشه – فى دراسته للمفاهيم الثلاثة الرئيسية التالية: "**التاريخى**"، و "**اللا- تاريخى**" و " **ما يعلو – التاريخى**" . يعنى " التاريخى" – عنده – التركيز على أبطال الماضى بجهد ليحصل الإنسان على الراحة و الإلهام من الواقعة المتضمنة أن الإنسان قادر على صناعة العظمة، و ليس الوقوف مع البين بين

(الوسطية) المعاصرة. و يرتبط هذا التصور " للتاريخى " فيما قاله جوته: " إن الجزء الأفضل من التاريخ- لهو – الحماس الذى ينجبه"(٤٢).

و يعنى " اللا- تاريخى" – عند – نيتشه – تعزيز و تدعيم و إحترام معرفتنا بالماضى بناءَ على عمرها. أما " مايعلو – التاريخى" أو ما يسميه نيتشه "التاريخ النقدى" فإنه يجعل المؤرخ قاضياً يصدر حكماً بحق الأحداث الماضية دون وهم أو ظلم أو غرور أو رحمة. و بعبارة أخرى ، يجب أن يكون المؤرخ قاضياً عادلاً بشأن الأحداث الماضية. و لعلنا نلحظ أن نيتشه يستند – فى رؤيته للمفاهيم الثلاثة- إلى نفع أو ضرر التاريخ للحياة.

يُعد التاريخى – من حيث هو كذلك – المسألة الرئيسية الأكثر أهمية . حيث تناولها نيتشه من جهة تعارضها مع " اللا- تاريخى" ثم مع " ما يعلو – التاريخى" . و بالتالى ، فإن "التاريخى" قد اكتسب دلالة جديدة . قام نيتشه بتحليل مفهومى "التاريخى" و"اللا- تاريخى" –أولا- من خلال مفهومى السعادة و المعاناة . حيث رأى أن دراسة التاريخ لا تجعلنا سعداء بل الأحرى أنها تتجه إلى جعلنا غير سعداء . فالتاريخى فى شكل الذاكرة يبدو أنه يمنعنا من أن نكون سعداء. يقول نيتشه : "فى السعادة الأصغر... كما فى السعادة الأعظم يكون دائما نفس العامل الذى يجعل من السعادة سعادة: وهو، القدرة على أن تنسى ، أن تشعر على نحو "لا - تاريخى" بينما السعادة تستمر " (٤٣) .

و قد يعترض على ذلك بالقول أن الذكريات قد تكون ساحرة تخلب العقل و الوجدان ، و أننا فى اللحظات المظلمة نسترجع الماضى لكى نحقق درجة من درجات السعادة. يقول نيتشه: "اللا- تاريخى" و " التاريخى" نحتاج إليهما – بالتساوى – لأجل صحة الإنسان الفرد، و الشعب ، و الثقافة(٤٤). يجب أن يعرف الناس – حسب نيتشه – كيف ينسوا فى الوقت الصائب و بالمثل كيف لهم أن يتذكروا فى الوقت الصائب(٤٥).

كان نيتشه قادراً على استخدام مقياس الحياة و الصحة. فإنعدام الذاكرة التام سوف يعيق الإنسان عن ممارسة الحياة. فالتاريخى – بأوسع معنى لهذا اللفظ – يكون ضروريا

للحياة ، و هذا هو قيمته. و إذا كان الإنسان لابد و أن يتذكر كل شيء، أعنى إذا افترضنا أنه كان "تاريخيا" فحسب، و ليس " لا- تاريخى" – قط- أى قادراً على ان ينسى أيضا ، فإنه سوف يعجز عن ممارسة الحياة. مفاد هذا أن كلا من "التاريخى" و "اللا-تاريخى" ضروريان للإنسان.

فإنعدام " التاريخى" بالمعنى الأضيق أى إنعدام الوعى (الدراية بـ) بالتاريخ الماضى ، سوف يكون – بالمثل – ليس فقط عدم سواء، بل نقصاً . لابد و أن يقضى – بالتناسب مع مداه – على فرض الكائن الحيوى فى النضال. يقول نيتشه : " إن شعباً بلا ذاكرة – على الإطلاق- بماضيه لابد و أن يكون غير قادر على حكم نفسه بطريقة ناجحة، غير قادر على أن يقييم طريق حياة مثبت و غير قادر على أن يحافظ على القانون. و ثقافة بلا تقاليد و إرث ثقافى و حضارى، بلا ذاكرة تتعلق بالتقنيات الماضية و العادات ، سوف تكون – بالمثل – ثقافة عاجزة(٤٦) . و على الجهة الأخرى ، فإن شعباً أو ثقافة بدون قدرة على النسيان سوف يكونان عاجزين عن إتخاذ القرارات، وعاجزين عن العمل و الإبداع.

رأى نيشته دعوته إلى تكامل " التاريخى" و"اللا – تاريخى" بالنسبة للإنسان الفرد والشعب و الثقافة – بوصفها- دعوة طبيب متأثراً فى ذلك بفكرة سقراط عن الطريقة التى – بها- يجب على الفيلسوف أن يتعامل مع الإنسان – بوصفه – الطبيب الخاص و المختص به. يحاول نيتشه- أولاً- أن يُشَخّص ثم يحاول أن يحقق الشفاء ، إذا كان ذلك ممكناً. يتبدى نيتشه –هنا- مبشراً و منذراً فحسب لفلاسفة المستقبل. و قد يقال: إنه قد حقق العظمة بواسطة تشخيصاته بدلا من تملكها من خلال روشتاته. فدعواته و نداءاته تشبه أوامر الطبيب الذى يخبر مرضاه بما يجب أن يفعلوه لكى يتحقق شفاؤهم.

و ترى الباحثة أن نداءات نيتشه ليست أوامر جازمة بل فرضية بالمعنى الكانطى حيث لا تتضمن أى إلزام مطلق . فإذا كان ثمة إنسان لا يريد أن يكون بصحة جيدة، فإن أعظم ما نستطيع قوله أنه سوف يمرض حتى النخاع أو بلغة نيتشه أنه سوف يتحلل.

هذا و قد واجه نيتشه صعوبات فى فحصه للمفهوم الثالث " ما يعلو – التاريخى". بل يقال إن وجهة النظر التى تعلو – التاريخى هى بيت القصيد فى مخطط فلسفة التاريخ بأكمله. رأيناه يتناول " التاريخى" و " اللا- تاريخى " بإستخدام مفهومى الحياة و الصحة. أما فحصه "لما يعلو – التاريخى " لأمر مختلف تماما. فماذا عسى أن يكون الأخير ؟ يوضح نيتشه أن الإنسان التاريخى لديه إيمان بالمستقبل. أما الإنسان الذى يعلو – التاريخى ، على الجهة الأخرى، الإنسان الذى لا يُشَخّصْ خلاصاً فى عملية ظهور معنى الوجود على نحو تقدمى فى مسار إنجازه ، بل هو يرى أن العالم ينتهى فى لحظة " مفردة" و تتحقق غايته. و تتساءل الباحثة – هنا- كيف للإنسان الذى يعلو – التاريخى أن يرى معنى الوجود ؟

يبدو واضحاً ن تحديد " قيمة" أو " لا – قيمة" النظرة التى " تعلو - التاريخى" ليس بالأمر اليسير كما هو الحال بالنسبة" للتاريخى" و " اللا- تاريخى". حيث توجد – هنا- المسألة التى تلتقى – فيها – فلسفة التاريخ و نظرية القيم و هى : ما إذا كانت ثمة قيم " تعلو –التاريخى" على نحو أصيل ؟ أو ما إذا كانت جميع القيم ظواهر تاريخية فحسب، و التى تكون صحيحة – فقط- فى مكان و زمان معينين؟ مفاد هذا أن العلاقة بين " التاريخى" و " ما يعلو – التاريخى" – بذلك – تتضمن مسألة نسبية القيم و بالتالى الإقرار بعدم وجود قيم مطلقة.

حاول نيتشه الإبتعاد "عما يعلو – التاريخى " فى مقدمة " التأمل الثالث" وهو يتأمل التاريخ. غير أنه يعود إلى هذا الموضوع – فيما بعد – فى نفس التأمل . حيث يعترف بقيمة "ما يعلو –التاريخى" و يعلن صراحة أنه يأمل أن تكون قيمة التاريخ أن يحيط و يحدد لحن كل يوم .... أن يرفع معنى الوجود الإنسانى و أن يكثفه فى شكل رمز. و إذا كان ذلك مجرد أمل، فإن نيتشه لم ينظر إلى التاريخ بوصفه تتالى طبيعى، لأن الأحداث الطبيبعية – من حيث هى كذلك- ليست رموزاً – على حد قوله- .

فى مقابل هذا، ينظر نيتشه إلى التاريخ باعتباره" عملا فنيا" حيث لا يجب على المؤرخ – حسب نيتشه – فقط- أن يكون قادراً على النسيان. و أن يختار من بين الأحداث التاريخية القليل الجدير بالتذكر . بل يجب عليه أيضا أن يؤمن بأن هذه المعرفة ذات قيمة إضافية بقدر ما تكون هذه الأحداث أو بعضها رموزاً[٤٧]. و قد يقال – هنا – إن هذه الرؤية تنقصها الدقة أو أنها مجرد "أمل " . يتحدث نيتشه عن الإحساس بعالم ذى معنى عميق و عن قوة و جمال دون أن يوضح ما يفترض أن تكون عليه الأحداث التاريخية لتصير رموزاً ، و ما إذا كانت قيمة التاريخ بالنسبة للحياة لا تزال قيمة طبيعية؟

رفض نيتشه الإعجاب بالنجاح و " بصنمية الوقائعى" ، لأنه يؤدى إلى(قول نعم) لكل قوة سواء أكانت حكومة ، رأى عام أو غالبية أعداد. و كان يرى أن التاريخ لا يُظهر قيما بالمعنى الذى يراه البعض و هو أن ما ينجح يبرهن – بذلك – على أنه ذو قيمة. فالوقائع التجريبية – حسب نيتشه – لا تبرر الإيمان بأن التاريخ قصة التقدم و أن قيما أعظم تقدماً دوما تتطور و أن ما يحدث متأخراً يكون بمقياس التطور – أيضا- أكثر قيمة.

يقول نيتشه: " لا يمكن أن يوجد هدف الإنسانية فى الغاية ، بل فقط فى نماذجها و أمثلتها الأعظم علواً"[٤٨] و لربما تقول الباحثة – هنا – إنه لا يوجد تعبير عن فلسفة نيتشه فى جميع كتاباته أبلغ من هذه الجملة حيث – هنا – تكون **العظمة** هى النقطة الأعظم حسماً بالنسبة للحكم بحق أصالة فلسفة التاريخ لديه و نظرية القيم و الصلة بينهما. و ليس أقل من ذلك كون هذه الجملة – المؤشر على الأخلاق الارستقراطية لديه و على معارضته الاشتراكية و الديمقراطية .

كما أن هذه الجملة تبين – أيضا – كيف " للتاريخى" و "ما يعلو –التاريخى" أن يتكاملان بشكل نهائى. فنحن نشخص (نجسد) معنى الحياة و التاريخ فى نماذج الإنسانية الأعظم علواً. حين نتأمل تلك النماذج مثل : سقراط، مايكل أنجلو، شكسبير، جوته، أفلاطون و إسبينوزا و غيرهم من أعلام الفلسفة و الفن و الأدب و السياسة ....ألخ . فإننا سوف نرى إن أحداث التاريخ قد تَكَشفت بحق فى رموز.

لكى يكون الإنسان أنموذجا و رمزا للإنسانية، يجب أن يدرك – تماما- أنه ليس بإمكان تضاعف الكم – سواء بشراً أكثر عدداً أو ثراءاً أكثر فأكثر – أن يمنح الإنسان الكرامة الفريدة التى يطالب بها نيتشه للإنسان الأعظم علواً و الذى يصير – بالضرورة – رمزاً للإنسانية. لا يستطيع الإنسان إكتساب القيمة عن طريق التضاعف الكمى. إذا كانت قيمة الإنسان صفراً ، فإن إضافة أصفار أخرى لا يؤدى – قط- إلى اى قيمة. إذا كان للإنسان أن يحوز أى جدارة فيجب أن تكون ثمة قفزة كيفية[٤٩]. لذا يعلن نيتشه أن العظمة تتحقق عن طريق تحقيق الإمتياز الكيفى و ليس الكمى.

تأمل نيتشه الشخصيات ذات الجدارة الأعظم علواً فى فترتين من فترات التاريخ الإنسانى الذى كانت لديه معرفة ثرية بهما. لقد أشاد بالأثينيين القدامى و رجال عصر النهضة. حيث نظر إلى إنتاج الفنانين و الفلاسفة العظام ، و لم يقدِّر جدارتهم بكم إنتاجهم، بل بأعمالهم الأكثر عظمة. و بعبارة أخرى، تقاس الجدارة – هنا- بأعمالهم الأسياد . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، إذا قلنا عن بيتهوفن أنه قد كتب سيمفونية واحدة و التى نعتبرها الأفضل لديه ، فإنه – عندئذ- يكون مؤلفا موسيقيا عظيماً ، كما قد كان أثناء حياته دوما، حتى لو أفترضنا أنه لم يكتب أى عمل آخر . إذا كان شكسبير قد كتب لير أو هاملت ،فإن مكانه كرمز للإنسانية سوف يكون مُؤمناً بين الأدباء الأعظم علواً.

كان نيتشه مؤمنا بإن جدارة الإنسان يجب أن تنحصر فى ملمح لا يتشارك فيه مع أى أحد آخر. كما كان يعتقد أن جدارة الإنسان و كذلك قيمة حياته و إبداعاته و أفعاله تتوقف على مركزه الفريد فى الكون . ظل نيتشه – منذ كتابه الأول (مولد التراجيديا) حتى الأخير (هذا هو الإنسان) يرى الأحداث و الأعلام التاريخية بوصفها رموزاً. فهولاء – جميعهم- فى نظره رموزاً ، موضوعات بلا زمن ، فكل واحد منهم قد تعلم أن " ينظم العماء".

هذا و قد صار مفهوم " تنظيم العماء" لدى نيتشه ذا أعظم دلالة: حيث تم إستخدامه فى تفسير ماهية العبقرى و ظل أحد الدوافع الضاغطة على تفكير نيتشه. و يقال إن

إمكان فهم تغير المعنى الديونسيسى فى أعماله المتأخرة يتوقف على رؤية إرتباط هذا المعنى – على نحو وثيق- بمفهومى التكامل و النظام – الذاتى . مفاد هذا أن الإنسان القادر على تنظيم العماء هو أنموذج الإنسانية و رمزا لها.

يتبين مما سبق أن نيتشه قدم تفسيراً منصفاً لنفع و ضرر التذكر و النسيان ، "للتاريخى" و " اللا- تاريخى" و كان مقياس " الصحة " معياراً مناسبا تماماً. لم يكن بحاجة – آنذاك- لاستخدام مفاهيم تعلو التاريخى. ثم تحول نيتشه إلى النظر فى " ما يعلو – التاريخى" حيث راى قيم الدين و الفن و السياسة تعلو فوق تدفق التاريخ . وأخيراً، رأى **الجمال و الكمال** – الذاتى باعتبارهما "ثقافة" بوصفها فيزياء أخرى مُحسنة أى فيزياء تَرَبَّتْ و هُذبت .

رأى نيتشه أن ما يحدد مركز الإنسان فى الكون ليس هبة طبيعية و لا عطية (منحة) تعلو – الطبيعى . ذلك لأن الإنسان كائن حيوانى و ما يميزه أن لديه إمكانية أضافية يستطيع بفضلها أن يرفع نفسه فوق الحيوانات إذا كان لابد و أن يُرَبى و يُحَسّنْ طبيعته. كانت هذه الرؤية – بمثابة- طرح ما يُسمَّى " أخلاق التحقق- الذاتى" لدى نيتشه . و قد حاول فى (التأمل الثالث) أن يجد حلا للصعوبات التى تتعلق بهذه الأخلاق. كانت **الرسالة** التى أراد أن يبلغها لنا **أن الإنسان يجب – فقط – أن يربى طبيعته ليحقق نفسه**. و قد يعترض على هذا بإن الإنسان لا ينجح بشكل طبيعى و ان الغالبية العظمى من الناس لا يحققون أنفسهم قط .

فلسفة تقييم قيمة جميع القيم :

حدد نيتشه المُشْكَّلْ الذى يخص البشرية جمعاء و هو: " أى معنى سيكون لوجودنا برمته ، إن لم يكن أنه فى ذات أنفسنا إنما تبلغ كل شاكلة من إرادة الحقيقة إلى الوعى بنفسها بوصفها مشكلاً؟ (٥٠) و كان حريصا على توضيح التقابل بين لغة الكاهن و لغة الفيلسوف ، بين لغة " التدجين" (أى تحويل الإنسان إلى حيوان أخلاقى) . و لغة " التربية الحرة" (خلق نوع بشرى جديد). يعمل كل من الكاهن و الفيلسوف من خلال "

إرادة القوة". بيد أنها تختلف عند كليهما من حيث الماهية و الهدف و كيفية ممارسة كل منهما لها.

و يمكن القول إن نيتشه قدم – لنا – فلسفته المتأخرة من منظور مبدأ واحد رئيسى وهو "إرادة القوة". و قد إستطاع من خلال هذا المبدأ أن يرى جميع المنظورات الثنائية فى فلسفته المبكرة ، بوصفها تجليات هذا الدافع الأوحد أى " إرادة القوة" . لقد إستخدم نيتشه مفهوم "إرادة القوة" فى سياقات متعددة يأتى فى المقدمة إرادة السؤال ذاته و خاصة أننا مجهولون بالنسبة – لأنفسنا – على حد قوله- . و قد رأينا – بالمثل – تجلى إرادة القوة فى إرادة النقد و التأويل أى إرادة الحفر و التجريب الفكرى.

و ترى الباحثة أن " إرادة التقييم ذاته" تُعد الشكل الأعظم لإرادة القوة لديه . حيث كان معنياً – بالدرجة الأولى – بالبحث فى أصل جميع القيم و قيمة القيمة ذاتها سواء أكانت قيما دينية ، أخلاقية ، أو ثقافية أو عملية ... ألخ . يقول نيتشه : " نحن فى حاجة ماسة إلى نقد القيم الأخلاقية، علينا أولاً أن نضع قيمة هذا القيم هى ذاتها مرة واحدة موضع التساؤل(٥١) . و ترى الباحثة أنه قد يكون من الضرورى – هنا – تناول معنى لفظى " القيمة " و " التقييم" . لفهم موقف نيتشه بإزاء إرادة التقييم و التقدير .

يُقصد بلفظ " القيمة" جدارة الشىء ولفظ " التقييم" تقدير جدارته. و يعد نيتشه من أوائل المفكرين و الفلاسفة الذين نظروا إلى فكرتى " القيمة" و " التقييم" بمعنى أكثر إتساعاً و أولوها إهتماما فى تفكيرهم . تصنف الإستخدامات الفلسفية لمصطلحى "القيمة" و " التقييم" – و هى إستخدامات متنوعة و متصارعة بين الفلاسفة كما يلى : ١- يستخدم مصطلح " القيمة" أحيانا كاسم مجرد ليدل – بمعنى ضيق – على ما تنطبق عليه – فقط – مثل " خَيّر ، مرغوب فيه " أو " جدير بـ " و يستخدم بمعنى اوسع ليدل على جميع أنواع الصواب، الإلزام ، الفضيلة ، الجمال ، الحقيقة ، و القداسة .... الخ .

و القيمة فى الإستخدام الأعظم إتساعا لها هى اسم عام يطلق على جميع أنواع المحمولات النقدية أو على ما هو مع المحمولات أو ضدها. باعتبار أنها أضداد

المحمولات الوصفية . و تكون نظرية القيمة أو الأكسيولوجيا هى النظرية العامة فى تلك المحمولات [٥٢].

٢- تستخدم القيمة بوصفها إسما أكثر تعينا، أى عندما نتكلم عن " القيمة " أو عن " قيم" ، لنشير إلى ما يقيم ، أو ما نحكم بأن له قيمة. ما نظن أنه خير ، أو مرغوب فيه و تشير تعبيرات مثل " قيمه " و " قيمهم" إلى ما يقيمَّه الإنسان أو الناس.

و يكون من الممكن – حسب كلا الاستخدامين – أن نميز أنواعا مختلفة من القيم. و يمكن – بالمثل – أن نميز بين قيم مادية ، روحية او بين قيم اقتصادية ، خلقية ، جمالية ، معرفية و دينية .

٣- يستخدم لفظ "قيمة" كفعل مثل التعبير أن " يقيم to value" ، "فعل تقييم valuating" و " مقوم valued" . و تتوقف مسألة –تبرير أحكام – القيمة و إثباتها- بدرجة كبيرة – على موقف الفيلسوف إزاء ماهية " القيمة" و "فعل التقييم". فعلى سبيل المثال لا الحصر، يرى الفيلسوف ذو التوجه الطبيعى أنه يمكن تبرير أحكام –القيمة و تاسيسها إما: عن طريق دليل تجريبى حول ما نرغب فيه، او بواسطة المعنى الحقيقى للألفاظ المتضمنة فى أحكام – القيمة (أى عن طريق التحليل و التعريف)[٥٣]. أما عالم القيم الميتافيزيقى و اللاهوتى ، فيكون تأسيس هذه الأحكام إما بحجة ميتافيزيقية أو وحى إلهى أو التعريف

بناءً على تحديد معنى لفظى " القيمة" و التقييم" ، يكون السؤال: كيف أستخدم نيتشه هذين المصطلحين فى دراسته النقدية لقيمة جميع القيم؟ يبدأ نيتشه بالتساؤل: أى أصل هو فى الحقيقة أصل الخير و الشر؟تحت أى ظروف اخترع الإنسان أحكام – القيمة هذه من خير و شر؟ و آية قيمة هى لها ذاتها ؟ و من الأجوبة على تساؤلاته السابقة تولدت أسئلة جديدة و أبحاث و فروض حتى تَمْلَّكَ عالمه الخاص . مفاد هذا أن نيتشه كان معنياً بالبحث فى قيمة أحكام – القيمة- أيا كان – المجال الذى تنتمى إليه. و

قد رأى ذلك مطلباً ملحاً من الضرورى القيام به . حيث يقول: يجب علينا أن نضع قيمة هذه القيم هى ذاتها – مرة واحدة موضع التساؤل(٥٤).

تعد " إرادة تقييم (تقدير) قيمة جميع القيم " الشكل الأعظم علواً لإرادة القوة: ذلك لأن القيام بإجراء التقييم يستلزم تفعيل إرادة السؤال و النقد و التأويل و الحفر ....ألخ . و تنحصر " إرادة التقييم " –هنا – فى تحديد منشأ أحكام – القيمة و ماهياتها و الأغراض التى يهدف واضعوها إلى تحقيقها من ورائها. و ليس هذا فحسب ، بل تعرية القيم التى تحط من قيمة الإنسان روحا حرة قادرة على تحقيق العلو و الإمتياز.

لقد تسائل نيتشه : ما سبب إشمئزازنا اليوم من الإنسان؟ إذ أننا نعانى من الإنسان، ليس فى ذلك شك ، ليس ذلك بالخوف، بل على الأرجح أنه لم يعد لدينا شىء يجعلنا نخاف من الإنسان، إن **الدودة** "إنسان" قد أخذت الصدارة و غصت بها الارض ، أن الإنسان الأليف العادى ، المضجر، الميؤوس منه، قد تعلم بعد كيف يفاخر بنفسه و كانه هدف و قيمة، و كأنه معنى التاريخ ، و كأنه الإنسان الأعلى " (٥٥). مع الخوف من الإنسان ، نحن نفقد محبة الإنسان و تهيب حرمته و الرجاء فيه و إرادتنا له . آلا إن بنا سأماً من منظر الإنسان؟ ماذا عسى أن تكون العدمية اليوم، إن لم تكن هذا ؟ لقد سئمنا من الإنسان"(٥٦).

و جدير بالإشارة – هنا- أن نرى التقابل بين إرادة التأثير السالبة التى تنفى قدرتها على الوجود و إرادة القوة الموجبة التى تؤكد الحياة و تعمل على إثرائها و العلو بها. و يتساءل نيتشه : آية إشارات يوفرها علم اللغة و البحث الإشتقاقى على وجه الخصوص بالنسبة إلى تاريخ تطور المفاهيم و الأخلاقية ، بل كافة أحكام – القيمة ؟ و قد أوصى نيتشه المشتغلين بالفلسفة بتشجيع القيام بدراسات فى تاريخ تلك المفاهيم و الأحكام إلى جانب فقهاء اللغة و المؤرخين و علماء الفسيولوجيا و الأطباء وفى بحث المسائل المتعلقة بقيمة التقييمات السارية حتى الآن.

رأى نيتشه أن جميع ألواح – القيم ، و كل " يجب عليك" التى عرفها التاريخ، إنما تحتاج إلى إيضاح و تفسير فسيولوجى و على الأرجح قبل الحاجة إلى تفسير نفسانى كالذى قام به، هو نفسه. يقول نيتشه : " إن السؤال ما قيمة ألواح – القيم هذه أو تلك، إنما شأنه أن يُطْرَح من خلال منظورات شتى. حيث لا يستطيع إنسان بمفرده أن يفكك قيمة السؤال لماذا؟ على نحو دقيق. و هو يؤكد أن كل العلوم عليها منذ الآن أن تهيىء المهمة المستقبلية للفيلسوف . عندما نفهم – هكذا - مهمة بأن على الفيلسوف أن يجد حلا لمشكل القيمة، بأن عليه أن يُعين تراتب – القيم.

و ترى الباحثة أن نيتشه قد استطاع القيام بأداء هذه المهمة بجدارة. حيث قام – بالفعل- بتقيم (تقدير) قيمة بعض المفاهيم الأخلاقية مثل الخير و الشر ، الضمير المعذب، العدالة، العقاب...الخ . كما أنه أوضح علاقته بالفلاسفة المشرعين، حيث تكلم عن نفسه بوصفه مبشراً ، منادياً و منذراً لفلاسفة المستقبل(٥٧). لم يقبل بمحاولات عقلنة و تبرير ألواح - القيم السارية و اكتفى بتقييم قيمة (تقدير) هذه الألواح – بوصفه- عملية تجهيز التربة لخلق – قيم أو " تشريع – قيم " جديدة فى المستقبل.

و تتساءل الباحثة –هنا- : إذا كان نيتشه يُقيم (يقدر) القيم السارية على هذا النحو و يساعد فى هدمها . آلا يعجل ذلك بمجيء العدمية؟ تتجلى الإجابة عن –هكذا – سؤال فى عبارة نيتشه الفلسفية حيث يقول : " ماذا عسى أن يكون الإنحطاط الذى على الإنسان أن يدفعه أيضا؟(٥٨) ذلك لأن نيتشه لا يتكلم عن ما يُسمَّى " قتل الرحمة للمعاق و المجنون " بل عن جميع القيم التى صارت مجوفة و منافقة. كما يتكلم عن كل ما يُسلم الإنسان به و يعمل وفقا له و الذى جاء – فقط - عن طريق الهرطقات.

لقد بدت الأخلاقية التقليدية له – بمثابة- شجرة ميتة لا يمكن لنا إنقاذها بواسطة تطعيمها بفاكهة جديدة. و لعلنا نسترجع – هنا- مفهومه عن نفسه باعتباره طبيباً – جراحاً. لقد بدت صحة الحضارة الإنسانية له مهددة بشدة. و كان مؤمنا بأننا لكى نتخطى العدمية، علينا أولا الاعتراف بها و تشخيصها . ولكن يظل السؤال مطروحا – هنا- : "

ما الذى يشير إليه مفهوم تقييم (تقدير) قيمة القيم؟ و خاصة أن نيتشه يتحدث عن نفسه باعتباره مبشراً و منذراً. هل يقدم – لنا – قيما جديدة؟

سوف يكون من اليسير أن نبين أن الفضائل التى امتدحها نيتشه موجودة لدى فلاسفة سابقين عليه. و فى هذه الحالة سيكون من الممكن التساؤل حول ما إذا كان ثمة جديد فى تاريخ الأفكار يحسب له . لقد امتدح نيتشه الفضائل التى تثرى حياة الإنسان و هى الأمانة و الشجاعة و على وجه الخصوص الشجاعة الأخلاقية. و الكرم و الادب (التأدب) و الإستقامة العقلية ، و فى أعماله المتأخرة أكدَّ النظام – الذاتى و الصلابة (المشقة).

و قد يقال إن مفهوم " تقييم (تقدير) قيمة القيم " يعنى – بالدرجة الأولى – القيام بأشعال الحرب ضد جميع التقييمات المسلم بها ، و لا يعنى خلق قيم جديدة . يقول نيتشه: " تلك هى صيغتى بشأن فحص – ذاتى نهائى بواسطة البشرية و الذى قد أصبح لَدَىَّ طبيعة بشرية . و مكسبى أننى علىَّ أن أكون الموجود البشرى الأول المهذب، أن أعرف نفسى" .

هذا و ترى الباحثة إمكان رؤية هذا القول بوصفه مؤشراً على " تحديد معنى مفهوم " "تقييم (تقدير) قيمة القيم " لدى نيتشه . و ينحصر هذا المعنى فى كونه صيرورة واعية و شجاعة. و بعبارة أخرى، فإن القيام بفعل التشخيص ذاته هو – بمثابة- تقييم (تقدير) قيمة القيم ذاتها و تعرية التقييمات السارية. فهو نقد داخلى - أى إكتشاف ما يشير إليه نيتشه بوصفه إنكار و هرطقةً و عدم أمانة.

رأى نيشته تقييم (تقدير) قيمة القيم إضاءة مفاجئة، تنويراً مُرعباً موجهاً إلى الطبيعة الحقيقية للقيم التقليدية – لدينا- و هو إضاءة و تنوير لا تستطيع – معها – هذه القيم البقاء . مفاد هذا أن تقييم (تقدير) قيمة جميع القيم – بمثابة- كشف جديد و هو أن أخلاقيتنا- بمقاييسها الخاصة بها – غير أخلاقية على نحو سام – بالنسبة لحياة الإنسان. هى سم زعاف يبيد حياة الإنسان.

هذا و يوضح نيتشه الشروط التى – بمقتضاها- يستطيع الإنسان أن يفهم مشروعه فى تقييم (تقدير) قيمة جميع القيم و هى : أن يكون الإنسان أميناً بشأن الأمور العقلية إلى حد الصلابة. آلا يسأل الإنسان – قط – ما إذا كانت الحقيقة سوف تكون نافعة أو ما إذا كانت قدره. و أيضا تفضيل القوة لأجل الأسئلة التى لا أحد اليوم – على حد قول نيتشه - يمتلك الشجاعة بالبحث فيها . و كذلك الشجاعة فى مواجهة المُحَرَّمْ و ضمير عقلى جديد و نزاهة فكرية لأجل فحص الحقائق التى بقيت و مازالت خرساء.

و ترى الباحثة أن اصالة مشروع نيتشه فى تقييم (تقدير) قيمة جميع القيم تتجلى – بكفاءة عالية- فى فحصه الدافعية السيكولوجية الخاصة بالمعتقدات الدينية و المذاهب الميتافيزيقية و الأخلاقية . لقد كان مولعا بحتمية جعل هذه الدافعية مسألة ضمير عقلى . و قد بلغ مشروعه هذا أعلى مدى فى قوله إن خيرية الإنسان الحديث ليست فاضلة ، و أن ما يسمى دينه ليس دينيا و ان ما يُسمَّى حقائق ليست حقيقية .

مما لا شك فيه أن آراء نيتشه تلك تعد – بمثابة- وجهات نظر خلافية بدرجة كبيرة. لقد استبق نيتشه فحص معضلات تواجه البشرية اليوم. و كان صاحب نبوءات قد تحقق بعضها و مازال يتحقق فى العالم الحديث و المعاصر بالفعل. لم ينظر إلى نفسه باعتباره – نبياً- بأى معنى من المعانى – و الذى يحول دون إستخدامه لأسلوب فلسفى فى فحص كافة المسائل و الأسئلة موضع الاهتمام.

فى كتابه الأكثر شهرة (هكذا تكلم زرادشت) متحدثا بوصفه صاحب نفوذ و سلطة وقوة، قام نيتشه بنشر المسائل و الأسئلة التى تفلسف بشأنها – بعناية و نزاهة. و هو ما يستلزم من القارىء دراستها و تأويلها و تقييمها بنفس النهج. أراد نيتشه أن يُقرأ من منظور نقدى وموضوعى. كان رفضه للتلميذ غير المتسائل أحد الدوافع الملحة لتفكيره . و السؤال يبقى مطروحاً ، هنا: ماذا عسى أن يكون عليه التلميذ المثالى؟ و ياتى الجواب على لسان نيتشه عبر ندائه الشهير : " كن إنسانا و لا تتبعنى، بل نفسك ! بل نفسك " (٥٩)

هوامش البحث

[1]An article in the Encyclopedia of -Nietsch,Fridrich -W.Kufman)[1](philosophy, Vol.5- pp.513- ed 1972

([2]) Ibid- Vol.5 –pp.513-515

([٣]) نيتشه – هذا هو الإنسا ن – (لماذا انا مميت) – شذرة ١ – ص ١٢٧- ترجمة : مجاهد عبد المنعم – الهيئة العامة لقصور الثقافة – مصر - ١٩٩٧

([٤])نيتشه – هذا هو الإنسان – لمذا أكتب مثل هذه الكتب الرائعة– ص٦٣ – شذرة ٥

([٥]) عبد الرحمن بدوى – نيتشه – ص -١٩٠- وكالة المطبوعات – الكويت - ١٩٧٥

([٦]) نيتشه ، إنسانى مفرط فى إنسانيته ج١، ص ١٢٧- شذرة ٢٢٤- ترجمة : محمد الناجى – أفريقيا الشرق – المغرب - ٢٠٠١

([٧]) نيتشه – الفجر – ص ١٥١ - شذرة ٢٠٦- ترجمة : محمد الناجى – أفريقيا الشرق - - المغرب -٢٠١٣

([8]) Friedrich Nietzsche, Thoughts out of Seasons, Trans : Adrian Collins, part 2, London, without date, p 170

([٩]) انسانى مفرط فى انسانيته ج١– ص ٣٨- شذرة ٣٤

([١٠]) نبتشه – فى جينالوجيا الأخلاق – المقالة الثانية (الذنب و الضمير المعذب) – ص٨٤- شذرة ٢- ترجمة : فتحى المسكينى – مؤمنون بلا حدود – المغرب - ٢٠١٧

) [11](Nietzsche- Letter to his sister (Bonn1865)-Published in W. Kaufman's The portalile Nietzsche,p.29,ed.1974,N.y.

([١٢]) نيتشه – جينتالوجيا الاخلاق – المقالة الاولى (عن الخير و الشر) -ص ٤٤ شذرة ٢

([١٣]) نيتشه – انسانى مفرط فى انسانيته ج ١ – ص٢٠- شذرة ٦

([١٤]) نيتشه – جينالوجيا الاخلاق – المقالة الاولى – ص ٤٦- شذرة ١.

([١٥]) نيتشه – انسانى مفرط فى انسانيته – ص٢٠- شذرة ٦

([١٦]) نيتشه – جينالوجيا الأخلاق – المقالة الأولى – ص ٢٦- شذرة ١

(١٧) نيتشه - نقيض المسيح – ص ٥٤- شذرة ٢٣- ترجمة : على مصباح – منشورات الجمل – بيروت - ٢٠١١

(١٨) المرجع السابق ص ٣٢- شذرة ٨

(١٩) نيتشه – جينالوجيا الاخلاق – المقالة الثانية - ص٨٨- شذرة ٤

(٢٠) نيتشه - التأمل الثالث (شوبنهاور مربيا) ص ٨ – ترجمة : قحطان جاسم – منشورات الاختلاف – بغداد- ٢٠١٦

(٢١) المرجع السابق - ص٩

(٢٢) جينالوجيا الاخلاق – المقالة الثانية – ص ٨٣- شذرة ٢

(٢٣) نيتشه - ماوراء الخير و الشر – ص٦٦– شذرة ٣٦- ترجمة:جيزيلا فالور- دارالفارابى– بيروت-٢٠١٥

(٢٤) نيتشه - ماوراء الخير و الشر – ص٦٧- شذرة ٣٦

(٢٥) نيتشه - جينولوجيا الاخلاق – المقالة الثانية – ص١٠٥ – شذرة ١٢

(٢٦) المرجع السابق المقالة الثانية- ص ١٠٦ – شذرة ١٢

(٢٧) نيتشه - جينالوجيا لاخلاق - المقالة الثالثة- ص ٢٠٣- شذرة ٢٥

(٢٨) المرجع السابق المقالة الثالثة – ص ١٨٨- شذرة ٢٠

(٢٩) المرجع السابق – المقالة الثالثة – ص ١٦٣- شذرة ١٢

(٣٠) نيتشه - العلم المرح – ص ٣٢٨ - شذرة ٣٧٤- ترجمة : على مصباح– منشورات الجمل– بيروت –٢٠١٧

(٣١) نيتشه - جينالوجيا الاخلاق –المقالة الثالثة- ص ١٨٨ شذرة ٢٠ هامش

(٣٢) المرجع السابق- المقالة الثانية- ص ٩٥- شذرة ٧

(٣٣) نيتشه- جينالوجيا الاخلاق – المقالة الثالثة – ص ٢٠١ – شذرة ٢٤

(٣٤) المرجع السابق – ص ١٩١ الى ١٩٢ – شذرة ٢٠

(٣٥) المرجع السابق – ص ١٤٩- شذرة ٨

(٣٦) المرجع السابق – ص١٤٩-شذرة ٨

(٣٧) المرجع السابق

(٣٨) نيتشه – جينالوجيا الاخلاق - المقالة الثالثة ص ١٦٣- ١٦٤- شذرة ١٢

(39) W.Kaufmann- "Nietzsche,Friedrich" – An article in the Encyclopedia of Philosophy, Vol.5, p.507,ed .1972,N.Y

(40) Ibid .P.508

(٤١) نيتشه - هذا هو الإنسان – ص ٥١- شذرة ٩

(٤٢)نيتشه - شوبنهاور مربيا – ص ٧ – ترجمة : قحطان جاسم – منشورات الاختلاف – بغداد- ٢٠١٦

(٤٣) المرجع السابق ص ٩

(٤٤) المرجع السابق – ص١٨

(٤٥) المرجع السابق – ص٢١

(٤٦) نيتشه - التأمل الثانى (محاسن التاريخ و مساوئه) – ص١٤- ترجمة : رشيد بوطيب – منتدى العلاقات العربية – قطر - ٢٠١٩

(٤٧) نيتشه – التأمل الثاتى(محاسن التاريخ و مساوئه) شذرة ٩ – ص١٩

(٤٨) المرجع السابق

(٤٩) نيتشه – التأمل الثالث (شوبنهاور مربيا) – ص٣٢

(٥٠) نيتشه – جينالوجيا الاخلاق – التصدير - ص ٧

(٥١) نيتشه – ما وراء الخير و الشر – - ص ١٢شذرة ٣

(52) J . Findlay – Axiology – Ethics – p. 36 – Ed . 197

٥٣( ) انظر – قدرية إسماعيل – أخلاق القيمة عند شلر- التذييل- بيمكو للنشر –عام ١٩٩٢ – ص ١٨٠

(٥٤) نيتشه – ماوراء الخير و الشر – ص ١٢٧- شذرة ١٨٦

(٥٥) المرجع السابق ص ٦٥- شذرة ١١

(٥٦) نيتشه – العلم المرح-ص ٢٧٤ شذرة ٣٤٥

(٥٧) نيشته – جينالوجيا الأخلاق- المقالة الاولى – ص٤٤- شذرة ١

(٥٨) نيشته – هكذا تكلم زرادشت – الكتاب الثالث – شذرة ١٢- ص١٧٢- ترجمة : فليكس فارس – المركز القومى للترجمة – مصر -٢٠١٤

(٥٩) نيتشه – هذا هو الإنسان – (هل فهمتمونى – محاولة للنقد الذاتى) – ص١٤٨- شذرة ٧